الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور

أبو جعفر المنصور

أعلام الخلفاء العباسيين

## الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور

خفيف العارضين، معرق الوجه، رحب الجبهة، كأن عينيه لسانان ناطقان، تخالطه أبهة الملك بزي النساك، تقبله القلوب، وتتبعه العيون، أقنى الأنف، بين القنا، فحل بني العباس هيبة وشجاعة، ورأيًا وحزمًا، ودهاءً وجبروتًا، وكان جَّماعًا للمال، حريصًا، تاركًا للهو واللعب، كامل العقل، بعيد الغور، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم.

أباد جماعة كبارًا حتى توطد له الملك، ودانت له الأمم على ظلم فيه وقوة نفس، ولكنه يرجع إلى صحة إسلام وتدين في الجملة، وتصون وصلاة وخير، مع فصاحة وبلاغة وجلالة. وكان يلقب: أبا الدوانيق، لتدنيقه ومحاسبته الصناع.

هو الخليفة أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور.

ولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة 136هـ وهو باني مدينة " بغداد " أمر بتخطيطها سنة 145 وجعلها دار ملكه بدلا من " الهاشمية " التي بناها السفاح. ومن آثاره مدينة " المصيصة " و" الرافقة " بالرقة، وزيادة في المسجد الحرام. وفي أيامه شرع العرب يطلبون علوم اليونانيين والفرس، وعمل أول إسطرلاب في الإسلام، صنعه محمد بن إبراهيم الفزاري. وكان بعيدًا عن اللهو والعبث، كثير الجد والتفكير، وله تواقيع غاية في البلاغة. وهو والد الخلفاء العباسيين جميعًا. وكان أفحلهم شجاعة وحزمًا إلا أنه قتل خلقًا كثيرًا حتى استقام ملكه. توفي ببئر ميمون (من أرض مكة) محرمًا بالحج.

ودفن في الحجون (بمكة) [1] ومدة خلافته 22 عامًا.

---

(1) الحجون: جبل بأعلى مكة، عنده مدافن أهلها، قال عمرو بن الحارث بن مضاض، يتأسف على البيت - وقيل هو للحارث الجرهمي:

**كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ::: أنيس، ولم يسمر بمكة سامر**
**نحن كنا أهلها فأبادنا ::: صروف الليالي والجدود العواثر**

وكان المنصور أسمر نحيفًا طويل القامة خفيف العارضين معرق الوجه رحب اللحية يخضب بالسواد، عريض الجبهة " كأن عينيه لسانان ناطقان، تخالطه أبهة الملوك بزي النساك " أمه بربرية تدعى سلامة. وكان نقش خاتمه " الله ثقة عبد الله وبه يؤمن " ومما كتب في سيرته " أخبار المنصور " لعمر بن شبة النميري.

قال المؤرخون: على شهرة المنصور بالبخل، ذكر محمد بن سلام أنه لم يعط خليفة قبل المنصور عشرة آلاف ألف درهم، دارت بها الصكاك، وثبتت في الدواوين، فإنه أعطى في يوم واحد، كل واحد من عمومته عشرة آلاف ألف. وقيل: إنه خلف يوم موته في بيوت الأموال تسعمائة ألف ألف درهم ونيف.

روى إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي: أن أباه قال: قال لنا المنصور: رأيت كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عممني بعمامة كورها ثلاثة وعشرون، وقال: خذها، وأوصاني بأمته.

وعن المنصور قال: الملوك أربعة: معاوية، وعبد الملك، وهشام بن عبد الملك، وأنا.

حج المنصور مرات، منها في خلافته مرتين، وفي الثالثة مات ببئر ميمون قبل أن يدخل مكة.

قال الأصمعي: صعد المنصور المنبر، فشرع، فقام رجل، فقال: يا أمير المؤمنين! اذكر من أنت في ذكره. فقال: مرحبًا، لقد ذكرت جليلا، وخوفت عظيمًا، وأعوذ بالله أن أكون ممن إذا قيل له: اتق الله، أخذته العزة بالإثم، والموعظة منا بدت، ومن عندنا خرجت، وأنت يا قائلها فأحلف بالله: ما الله أردت، إنما أردت أن يقال: قام، فقال، فعوقب، فصبر، فأهون بها من قائلها، واهتبلها من الله، ويلك إني قد غفرتها!. وعاد إلى خطبته كأنما يقرأ من كتاب.

ولما احتضر المنصور قال: اللهم إني قد ارتكبت عظائم، جرأة مني

وبئر ميمون: بمكة أيضا.

عليك، وقد أطعتك في أحب الأشياء إليك، شهادة أن لا إله إلا الله، منا منك لا منا عليك، ثم مات.

وقيل: رأى ما يدل على قرب موته، فسار للحج. وقيل: مات مبطونًا، وعاش أربعًا وستين سنة.

قال الصولي: دفن بين الحجون وبئر ميمون في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة.

تولى المنصور الخلافة ولم تكن قد توطدت دعائمها، ولم يكن يخاف عليها من الدولة البائدة دولة الأمويين، لأنه لم تبق لهم باقية يخاف منها وإنما كان الخوف ينتاب المنصور من ثلاث جهات:

1 - منافسة عمه عبد الله بن علي له.

2 - عظمة ومكانة أبي مسلم الخراساني مؤسس الدولة.

3 - الخوف من بني عمه آل علي بن أبي طالب الذين لم يزل لهم في قلوب الناس مكان مكين.

وقد خرج عليه في أول ولايته عمه عبد الله بن علي فرماه بنظيره أبي مسلم صاحب الدولة، وقال: لا أبالي أيهما أصيب. فانهزم عمه، وتلاشى أمره، ثم فسد ما بينه وبين أبي مسلم، فلم يزل يتحيل عليه، حتى استأصله وتمكن.

ثم خرج عليه ابنا عبد الله بن حسن وكاد أن تزول دولته، واستعد للهرب، ثم قتلا في أربعين يومًا، وألقى عصاه، واستقر.

وقد خضعت له ممالك الإسلام بأسرها، سوى جزيرة الأندلس. وكان ينظر في حقير المال ويثمره، ويجتهد بحيث إنه خلف في بيوت الأموال من النقدين أربعة عشر ألف ألف دينار، فيما قيل، وستمائة ألف ألف درهم، وكان كثيرًا ما يتشبه بالثلاثة في سياسته وحزمه، وهم: معاوية، وعبد الملك، وهشام.

وقيل: إنه أحس شغبًا عند قتله أبا مسلم، فخرج بعد أن فرق الأموال،

وشغلهم برأسه، فصعد المنبر وقال: أيها الناس، لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسروا غش الأئمة، يظهر الله ذلك على فلتات الألسنة، وسقطات الأفعال، فإن من نازعنا عروة قميص الإمامة، أوطأناه ما في هذا الغمد، وإن أبا مسلم بايعنا على أنه إن نكث بيعتنا، فقد أباح دمه لنا، ثم نكث، فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره، ولم يمنعنا رعاية حقه من إقامة الحق عليه، فلا تمشوا في ظلمة الباطل، بعد سعيكم في ضياء الحق، ولو علم بحقيقة حال أبي مسلم، لعنفنا على إمهاله من أنكر منا قتله والسلام[1].

ولقب أبو جعفر المنصور بأبي الدوانيق، لقب بذلك لأنه لما بنى مدينة بغداد كان يباشرها بنفسه ويحاسب الصناع، فيقول لهذا: أنت نمت القائلة، ولهذا: لم تبكر، ولهذا: انصرفت قبل أن تكمل اليوم، فيسقط لهذا دانقًا، ولهذا دانقين، فلا يكاد يعطي لأحد أجرةً كاملة، وكان يقول: يزعمون أني بخيل، وما أنا ببخيل، ولكن رأيت الناس عبيد المال، فمنعتهم عنه، ليكونوا عبيدًا لي. ويحكى عنه أنه قال لطباخه: لكم ثلاثة وعليكم اثنتان، لكم الرءوس والأكارع والجلود، وعليكم الحبوب والتوابل. ومن حكاياته الدالة على بخله: أن صاحبه الربيع بن يونس قال له يومًا: يا أمير المؤمنين، إن الشعراء ببابك وهم كثير، وقد طالت أيامهم ونفدت نقفاتهم، فقال: اخرج إليهم وسلم عليهم، وقل لهم من مدحنا منكم فلا يصف الأسد، فإنما هو كلب من الكلاب، ولا الحية، فإنما هي دويبة منتنة تأكل التراب، ولا الجبل فإنه حجر أصم، ولا البحر، فإنه عطن بض لجبٌ، فمن ليس في شعره شيء من هذا فليدخل، ومن كان في شعره شيءٌ منه فلينصرف، فأبلغهم فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هرمة فقال: أنا له يا ربيع فأدخلني عليه،

(1) ابن قتيبة الدينوري، المعارف: 377 - 378، تاريخ الطبري: 7 / 469 - 473، 8 / 62 - 102، الوزراء والكتاب: 96 - 140، مروج الذهب: 2 / 228 - 246، تاريخ بغداد: 10 / 53 - 61، الكامل لابن الأثير: 5 / 461 - 462، تاريخ الإسلام: 6 / 214 - 219، عبرالذهبي: 1 / 228، دول الإسلام: الذهبي: 93 - 95، فوات الوفيات: 2 / 216 - 217، البداية والنهاية: 10 / 121 - 129، العقد الثمين: 5 / 248، تاريخ الخلفاء: 259 - 271، شذرات الذهب: 1 / 185، 213، 216، 219، 225، 234، 236، 243، 244، سير أعلام النبلاء، 7 /83.

فأدخله، فلما مثل بين يديه، قال له: يا ربيع قد علمت أنه لا يجيبك غيره فأنشده قصيدته التي منها:

**لـه لحظـات فـي حفـافي سـريره : إذا كرهـا فيهـا عقـاب ونائـل**
**فـأم الـذي أمنـت آمنـة الـردى :: وأم الـذي خوفـت بالثكـل ثاكـل**

فرفع له الستر وأقبل عليه وأصغى إليه، فلما فرغ من إنشاده أمر له بعشرة آلاف درهم وقال له: يا إبراهيم، لا تتلفها طمعًا في نيل مثلها منا، فما كل وقت تصل إلينا، فقال إبراهيم: ألقاك يا أمير المؤمنين يوم القيامة وعليها الجهبذ[1].

مواقف من حياته:

## كأنك لم تسمع بالعفو:

وقيل: إن عبد الصمد عمه قال: يا أمير المؤمنين، لقد هجمت بالعقوبة، حتى كأنك لم تسمع بالعفو. قال: لأن بني أمية لم تبل رممهم، وآل علي لم تغمد سيوفهم، ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوقة، ولا تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو.

## ليس عندك قضاؤها!؟

وقيل: دخل عليه هشام بن عروة فقال: اقض ديني. قال: وكم هو؟. قال: مائة ألف، قال: وأنت في فقهك وفضلك تأخذ مائة ألف، ليس عندك قضاؤها!؟ قال: شب فتيان لي، فأحببت أن أبوئهم، وخشيت أن ينتشر على أمرهم، واتخذت لهم منازل، وأولمت عليهم، ثقة بالله وبأمير المؤمنين.

قال: فردد عليه: مائة ألف، استكثارًا لها، ثم قال: قد أمرنا لك بعشرة آلاف. قال: فأعطني ما تعطي وأنت طيب النفس، فقد سمعت أبي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من أعطى عطية وهو بها طيب النفس، بورك للمعطي والمعطى ".

(1) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى - 1424 هـ - 2004 م، 284/3.

قال: فإني طيب النفس بها. فأهوى ليقبل يده، فمنعه، وقال: إنا نكرمك عنها، ونكرمها عن غيرك.

## يدرك الشرف الفتى ورداؤه خلق:

وقيل رأت جارية للمنصور قميصه مرقوعا، فكلمته فقال:

**قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه ⋮ خلق، وجيب قميصه مرقوع**

## أتؤمن بالله؟

قال عباد بن كثير لسفيان: قلت لأبي جعفر: أتؤمن بالله؟ قال: نعم. قلت: حدثني عن الأموال التي اصطفيتموها من بني أمية، فلئن صارت إليكم ظلمًا وغصبًا، فما رددتموها إلى أهلها الذين ظلموا، ولئن كانت لبني أمية، لقد أخذتم ما لا يحل لكم، إذا دعيت غدًا بنو أمية بالعدل، جاؤوا بعمر بن عبد العزيز، وإذا دعيتم أنتم، لم تجيئوا بأحد، فكن أنت ذاك الأحد، فقد مضت من خلافتك ست عشرة سنة. قال: ما أجد أعوانًا. قلت: عونك علي بلا مرزئة، أنت تعلم أن أبا أيوب المورياني يريد منك كل عام بيت مال، وأنا أجيئك بمن يعمل بغير رزق، آتيك بالأوزاعي، وآتيك بالثوري، وأنا أبلغك عن العامة. فقال: حتى أستكمل بناء بغداد، وأوجه خلفك. فقال له سفيان: ولم ذكرتني له؟. قال: والله ما أردت إلا النصح. قال سفيان: ويل لمن دخل عليهم، إذا لم يكن كبير العقل، كثير الفهم، كيف يكون فتنة عليهم وعلى الأمة.

## ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى إلى يوم القيامة؟

قال ابن حميد: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال:{ٹٹۀۀہہھھ ےےۓۓڭڭ ڭڭ} [الحجرات: ٢].

ومدح قوما فقال:{ۇۆۆۈۈۇٴۋۋۅۅۉۉېېىىئا} [الحجرات: ٣].

وذم قوما فقال:{ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ} [الحجرات: ٤].

وإن حرمته ميتاً كحرمته حيًّا. فاستكان لها أبو جعفر، وقال: يا أبا عبد الله؛ أأستقبل القبلة وأدنو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى إلى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به، فيشفعك الله؛ قال تعالى:{ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ} [النساء: ٦٤] اهـ [1].

(1) علق ابن تيمية علي هذه القصة فقال في " الفتاوى " (228/1):
فَهَذَا كُلُّهُ نَقَلَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ مِنْ كُتُبِ أَصْحَابِ مَالِكٍ الْمَعْرُوفَةِ ثُمَّ ذَكَرَ حِكَايَةً بِإِسْنَادِ غَرِيبٍ مُنْقَطِعٍ رَوَاهَا عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ إجَازَةً.. فذكرها بسندها عن القاضي عياض، ثم قال:
قُلْت: وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ مُنْقَطِعَةٌ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ حميد الرَّازِيَّ لَمْ يُدْرِكْ مَالِكًا، لَا سِيَّمَا فِي زَمَنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُور، فَإِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ تُوُفِّيَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ مَالِكٌ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ. وَتُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ حميد الرازي سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ بَلَدِهِ حِينَ رَحَلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إلَّا وَهُوَ كَبِيرٌ مَعَ أَبِيهِ، وَهُوَ مَعَ هَذَا ضَعِيفٌ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْحَدِيثِ، كَذَّبَهُ أَبُو زُرْعَةَ، ومحمد بن مسلم بْنُ وارة.
وَقَالَ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأسدي: مَا رَأَيْت أَحَدًا أَجْرَأَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ وَأَحْذَقَ بِالْكَذِبِ مِنْهُ.
وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ: كَثِيرُ الْمَنَاكِيرِ.
وَقَالَ النسائي: لَيْسَ بِثِقَةٍ. وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ: يَنْفَرِدُ عَنْ الثِّقَاتِ بِالْمَقْلُوبَاتِ.
وقال ابن خراش: حدثنا ابن حميد، وكان والله يكذب!.
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: فرأيت بعد ذلك أبي إذا ذكر ابن حميد: نفض يده!.
وَآخِرُ مَنْ رَوَى الْمُوَطَّأَ عَنْ مَالِكٍ هُوَ أَبُو مُصْعَبٍ وَتُوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ.
وَآخِرُ مَنْ رَوَى عَنْ مَالِكٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ هُوَ أَبُو حُذَيْفَةَ أَحْمَدُ بْنُ إسْمَاعِيلَ السَّهْمِيُّ تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي الْإِسْنَادِ أَيْضًا مَنْ لَا تُعْرَفُ حَالُهُ.ا.هـ.
وقال أيضا في " الفتاوى " (225/1):
وَكَذَلِكَ مَنْ نَقَلَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ جَوَّزَ سُؤَالَ الرَّسُولِ أَوْ غَيْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ أَوْ نَقَلَ ذَلِكَ عَنْ إمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ - غَيْرِ مَالِكٍ - كَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمَا فَقَدْ كَذَبَ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ بَعْضُ الْجُهَّالِ يَنْقُلُ هَذَا عَنْ مَالِكٍ، وَيَسْتَنِدُ إلَى حِكَايَةٍ مَكْذُوبَةٍ عَنْ مَالِكٍ.. وَأَصْلُهَا ضَعِيفٌ.ا.هـ.
وقال أيضا في " الفتاوى " (353/1): وَالْحِكَايَةُ الَّتِي تُذْكَرُ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ لِلْمَنْصُورِ لَمَّا سَأَلَهُ عَنْ اسْتِقْبَالِ الْحُجْرَةِ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ، وقال: " هُوَ وَسِيلَتُك وَوَسِيلَةُ أَبِيك آدَمَ " كَذِبٌ عَلَى مَالِكٍ، لَيْسَ لَهَا إسْنَادٌ مَعْرُوفٌ.
من جهةِ نقلها عن أصحابِ مالك:
قال شيخ الإسلام ابن تيمية (228/1):
وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ لَمْ يَذْكُرْهَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ الْمَعْرُوفِينَ ؟؟؟ بِالْأَخْذِ عَنْهُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حميد ضَعِيفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ إذَا أَسْنَدَ، فَكَيْفَ إذَا أَرْسَلَ حِكَايَةً لَا تُعْرَفُ إلَّا مِنْ جِهَتِهِ؟

**يا أمير المؤمنين روض نفسك لنفسك، وخذ لها الأمان من ربك:**

قال الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو،: " بعث إلي المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل، فلما وصلت إليه سلمت عليه بالخلافة فرد علي وأجلسني " ثم قال: ما الذي بطأ بك عنا يا أوزاعي؟ قلت: " وما الذي تريد يا أمير المؤمنين؟ " قال: أريد الأخذ عنك والاقتباس منك، قال: " فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئا مما أقول لك " قال: وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وقد وجهت إليك وأقدمتك له؟ قلت: " أن تسمعه ولا تعمل به، يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله، إن الله هو الحق المبين " قال: فصاح ابن الربيع وأهوى بيده إلى السيف، فانتهره المنصور، وقال: هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة، فطابت نفسي وانبسطت في الكلام، فقلت: يا أمير المؤمنين حدثني مكحول، عن عطية، عن بشر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أيما عبد أتاه موعظة من الله في دينه فإنما هي

---

هَذَا إنْ ثَبَتَ عَنْهُ، وَأَصْحَابُ مَالِكٍ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ بِمِثْلِ هَذَا النَّقْلِ لَا يَثْبُتُ عَنْ مَالِكٍ قَوْلٌ لَهُ فِي مَسْأَلَةٍ فِي الْفِقْهِ؛ بَلْ إذَا رَوَى عَنْهُ الشَّامِيُّونَ كَالْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، وَمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطاطري ضَعَّفُوا رِوَايَةَ هَؤُلَاءِ، وَإِنَّمَا يَعْتَمِدُونَ عَلَى رِوَايَةِ الْمَدَنِيِّينَ وَالْمِصْرِيِّينَ فَكَيْفَ بِحِكَايَةٍ تُنَاقِضُ مَذْهَبَهُ الْمَعْرُوفَ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ رَوَاهَا وَاحِدٌ مِنْ الْخُراسانِيِّينَ لَمْ يُدْرِكْهُ وَهُوَ ضَعِيفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ؟.ا.هـ.

سببُ إيرادِ القاضي عياضٍ لها:

قال في " الفتاوى " (225/1 - 226): وَالْقَاضِي عِيَاضٌ لَمْ يَذْكُرْهَا فِي كِتَابِهِ فِي بَابِ زِيَارَةِ قَبْرِهِ؛ بَلْ ذَكَرَ هُنَاكَ مَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عَنْ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهَا فِي سِيَاقِ أَنَّ حُرْمَةَ النَّبِيِّ بَعْدَ مَوْتِهِ وَتَوْقِيرَهُ وَتَعْظِيمَهُ لَازِمٌ؛ كَمَا كَانَ حَالَ حَيَاتِهِ وَكَذَلِكَ عِنْدَ ذِكْرِهِ وَذِكْرِ حَدِيثِهِ وَسُنَّتِهِ وَسَمَاعِ اسْمِهِ.ا.هـ.

الثابتَ عن مالكٍ خلافُ القصةِ:

قال في " الفتاوى " (353/1): وَهُوَ خِلَافُ الثَّابِتِ الْمَنْقُولِ عَنْهُ بِأَسَانِيدِ الثِّقَاتِ فِي كُتُبِ أَصْحَابِهِ كَمَا ذَكَرَهُ إسْمَاعِيلُ بْنُ إسْحَاقَ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ مِثْلَ مَا ذَكَرُوا عَنْهُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَقْوَامٍ يُطِيلُونَ الْقِيَامَ مُسْتَقْبِلِي الْحُجْرَةِ يَدْعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، فَأَنْكَرَ مَالِكٌ ذَلِكَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ الْبِدَعِ الَّتِي لَمْ يَفْعَلْهَا الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَقَالَ: لَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَهُ مَالِكٌ، فَإِنَّ الْآثَارَ الْمُتَوَاتِرَةَ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ تُبَيِّنُ أَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ عَمَلِهِمْ وَعَادَتِهِمْ، وَلَوْ كَانَ اسْتِقْبَالُ الْحُجْرَةِ عِنْدَ الدُّعَاءِ مَشْرُوعًا لَكَانُوا هُمْ أَعْلَمَ بِذَلِكَ، وَكَانُوا أَسْبَقَ إلَيْهِ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ وَالدَّاعِي يَدْعُو اللَّهَ وَحْدَهُ.ا.هـ.

نعمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله ليزداد بها إثما، ويزداد عليه سخطا " يا أمير المؤمنين حدثني مكحول، عن عطية، عن بشر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة** -، يا أمير المؤمنين إن الذي لين قلوب أمتكم لكم حين ولوكم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان بهم رؤوفًا رحيمًا مواسيًا لهم بنفسه وذات يده، وعند الناس لحقيق أن يقوم له فيهم بالحق، وأن يكون بالقسط له فيهم قائمًا، ولعوراتهم ساترًا، لم يغلق عليه دونهم الأبواب، ولم يقم عليه دونهم الحجاب، يبتهج بالنعمة عندهم، ويبتئس بما أصابهم من سوء، يا أمير المؤمنين، قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم، أحمرهم وأسودهم، مسلمهم وكافرهم، وكل له عليك نصيب من العدل، فكيف بك إذا اتبعك منهم فئام وراء فئام، ليس منهم أحد إلا وهو يشكو شكوى، أو بلية أدخلتها عليه، أو ظلامة سقتها إليه ".

يا أمير المؤمنين حدثني مكحول، عن عروة بن رويم، قال: " كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة رطبة يستاك بها، ويروع بها المنافقين، فأتاه جبريل فقال: يا محمد، ما هذه الجريدة التي كسرت بها قرون أمتك، وملأت بها قلوبهم رعبا؟ "، فكيف بمن شقق أبشارهم، وسفك دماءهم، وخرب ديارهم، وأجلاهم عن بلادهم، وغيبهم الخوف منه؟ ".

يا أمير المؤمنين حدثني مكحول، عن زياد بن حارثة، عن حبيب بن مسلمة، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدشة خدشها أعرابيًا لم يتعمده، فأتاه جبريل فقال: إن الله لم يبعثك جبارًا ولا متكبرًا، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **اقتص مني** - فقال الأعرابي: قد أحللتك بأبي أنت وأمي، ما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسي، فدعا الله له بخير " " يا أمير المؤمنين روض نفسك لنفسك، وخذ لها الأمان من ربك، وارغب في جنة عرضها السماوات والأرض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم : **لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها** -، يا أمير المؤمنين إن الملك لو

بقي لمن كان قبلك لم يصل إليك، وكذلك لا يبقى لك كما لا يبقى لغيرك، يا أمير المؤمنين تدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك:{ڈڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک} [الكهف: ٤٩]، قال: الصغيرة التبسم، والكبيرة الضحك، فكيف ما عملته الأيدي وأحصته الألسن يا أمير المؤمنين؟.

بلغني أن عمر بن الخطاب قال: لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخفت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يا أمير المؤمنين؟ تدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك:{ئېئېئىئىئىی ییی□□□□□} [ص: ٢٦]، قال: " يا داود، إذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى فلا تتمنين في نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأمحوك عن نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة، يا داود إنما جعلت رسلي إلى عبادي رعاة ترعى الإبل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة، ليجبروا الكسرة، ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء، يا أمير المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السماوات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه، يا أمير المؤمنين ".

حدثني يزيد بن يزيد بن جابر، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، أن عمر بن الخطاب استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيمًا، فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله؟ قال: لا، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **ما من وال يلي شيئا من أمور الناس إلا يؤتى به يوم القيامة يده مغلولة إلى عنقه، فيوقف على جسر من النار، ينتفض ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فإن كان محسنًا نجاه إحسانه، وإن كان مسيئًا انحرف به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفًا** - قال له: ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي ذر، وسلمان، فأرسل إليهما عمر فسألهما فقالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: واعمراه من يتولاها بما فيها؟ فقال أبو ذر: " من أرغم الله أنفه وألصق خده بالأرض "، قال: فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني.

ثم قلت: يا أمير المؤمنين، قد سأل جدك العباس رسول الله صلى الله

عليه وسلم إمارة على مكة أو الطائف أو اليمن، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : **يا عباس يا عم النبي، نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها** - نصيحة منه لعمه وشفقة منه عليه، وإنه لا يغني عنه من الله شيئا، إذ أوحي إليه:{ﭽﭾﭿ} [الشعراء: ٢١٤]، فقال: **يا عباس يا عم النبي، ويا صفية عمة النبي، ويا فاطمة بنت محمد، إني لست أغني عنكم من الله شيئا، لي عملي ولكم عملكم** - وقد قال عمر بن الخطاب: " لا يقضي بين الناس إلا حصيف العقل، أرب العقدة، لا يطلع منه على عورة، ولا يحنق على جراءة، ولا يأخذه في الله لومة لائم ".

وقال علي رضي الله عنه: " السلطان أربعة: فأمير قوي طلق نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله، يد الله باسطة عليه بالرحمة، وأمير طلق نفسه وأرتع عماله لضعفه، فهو على شفا هلاك، إلا أن يتركهم، وأمير طلق عماله وأرتع نفسه، فذلك الحطمة ".

الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده، وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا** -.

بلغني يا أمير المؤمنين " أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أتيتك بخبر من أمر الله تعالى ذكره بمفاتيح النار، فوضعت على النار تسعر إلى يوم القيامة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صف لي النار، فقال: إن الله تعالى ذكره أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة، لا يطفأ لهبها ولا جمرها، والذي بعثك بالحق لو أن ثوبًا من ثياب أهل النار ظهر لأهل الأرض لماتوا جميعًا، ولو أن ذنوبًا من شرابها صب في مياه أهل الأرض جميعًا لقتل من ذاقه، ولو أن ذراعًا من السلسلة التي ذكرها الله عز وجل وضع على جبال الأرض لذابت وما اشتعلت، ولو أن رجلاً أدخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه، فبكى النبي صلى الله عليه وسلم، وبكى جبريل لبكائه فقال: بلى يا محمد، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ ولم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين، أمين الله على وحيه؟ " فقال: إني أخاف أن أبتلى بمثل ما

ابتلي به هاروت، وماروت، فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي عز وجل، فأكون قد أمنت مكره، فلم يزالا يبكيان حتى نودي من السماء: أن يا جبريل ويا محمد، إن الله عز وجل قد أمنكما أن تعصياه فيعذبكما ".

وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب قال: " اللهم إن كنت تعلم أني أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي على من حال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين " يا أمير المؤمنين، إن أشد الشدة القيام لله عز وجل، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، وإن من طلب العز بطاعة الله رفعه وأعزه، ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه، فهذه نصيحتي والسلام عليك، ثم نهضت، فقال: إلى أين؟ فقلت: إلى البلد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله، قال: " قد أذنت لك، وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقولها، والله عز وجل الموفق للخير والمعين عليه، وبه أستعين وعليه أتوكل، وهو حسبي ونعم الوكيل، فلا تخلني من مطالعتك إياي بمثلها، فإنك المقبول القول غير المتهم في نصيحته، قلت: أفعل إن شاء الله، قال محمد بن مصعب: فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله، وقال: أنا في غنى عنه، وما كنت أبيع نصيحتي بعرض من أعراض الدنيا كلها، وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في رده "، قال الحاكم: " هذا حديث تفرد به أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح الأديب، وهو مقدم في أصحاب الأصمعي، يلقب بأبي حدث عن يحيى بن صاعد وغيره من الأئمة " [1]

## والله ما أحدثك ولا أحدث قومًا أنت فيهم:

قال شريك: « كان أبو جعفر المنصور قد استخفى عند رجل فأكرمه، فلما أفضت الخلافة إليه قدم عليه ذلك الرجل يهنئه فأكرمه أبو جعفر، وقال له: " سل حاجتك "، فقال له: أنت تعلم أني من الله في نعمة، ما لي

(1) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م، 9 /503 - 509.

حاجة إلا أني أشتهي أن يحدثني الأعمش، فاكتب إليه كتابا ليحدثني »، فكتب له أبو جعفر كتابا بخطه إلى الأعمش يعرفه فيه وجوب حقه عليه، ويأمره بأن يحدثه، فلما مضى الرجل بالكتاب وافى [1] باب الأعمش فدقه، وكان الأعمش يكره أن يدق عليه بابه فقال: من ذا؟ ادخل فدخل والأعمش، يلخف كسبا للشاة - فقال له: ما لك؟ فقال: هذا كتاب أمير المؤمنين إليك، فقال: هاته فأخذه، ثم قال: يا بسرة - يعني أن اسم الشاة بسرة - فرفعت رأسها، فجعل يضفرها الكتاب حتى أكلته، ثم قال: إيش فيه؟ قال: فيه أن تحدثني، فقال: ما أحدثك بحرف، فقال: سبحان الله يا أبا محمد يكتب إليك أمير المؤمنين في شيء فلا تفعله، فقال: " والله ما أحدثك ولا أحدث قوما أنت فيهم " [2] يا أمير المؤمنين، إن الذي داخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله وامتلأت بلاد الله بذلك بغياً وفساداً أنت هو.

وذكر الغزالي وابن بليان وغيرهما، أن أبا جعفر المنصور حج ونزل في دار الندوة، وكان يخرج سحراً فيطوف بالبيت، فخرج ذات ليلة سحراً، فبينما هو يطوف إذ سمع قائلاً يقول: اللهم أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع. فهرول المنصور في مشيته حتى ملأ سمعه ثم رجع إلى دار الندوة. وقال لصاحب شرطته: إن بالبيت رجلاً يطوف فائتني به. فخر صاحب الشرطة فوجد رجلاً عند الركن اليمني. فقال: أجب أمير المؤمنين. فلما دخل عليه، قال: أنا الذي سمعتك آنفاً تشكو إلى الله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع، فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني.

فقال له: يا أمير المؤمنين، إن الذي داخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله وامتلأت بلاد الله بذلك بغياً وفساداً أنت هو.

فقال له المنصور: ويحك كيف يداخلني الطمع، والصفراء والبيضاء ببابي وملك الأرض في قبضتي.

(1) وافى: أتى وأدرك ولَحِق.
(2) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، 2 /372.

فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين، وهل داخل أحداً من الطمع ما داخلك؟ استرعاك الله أمور المؤمنين وأموالهم فأهملت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم، واتخذت بينك وبين رعيتك حجاباً من الجبس والآجر وحجبة معهم السلاح وأمرت أن لا يدخل عليك إلا فلان وفلان، نفر استخلصتهم لنفسك وأمرتهم على رعيتك، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الجائع ولا العاري، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق. فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك تجمع الأموال وتقسمها، قالوا: هذا خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه؟ فأجمعوا على أن لا يصل إليك من أموال الناس إلا ما أرادوا. فصار هؤلاء شركاءك في سلطانك، وأنت غافل عنهم، فإذا جاء المظلوم إلى بابك وجدك أوقفت رجلاً ينظر في مظالم الناس، فإن كان الظالم من بطانتك علل صاحب المظالم بالمظلوم وسوّفَ من وقت إلى وقت، فإذا اجتهد وظهرت أنت صرخ بين يديك، فضربه أعوانك ضرباً شديداً ليكون نكالاً لغيره، وأنت ترى ذلك ولا تنكر. لقد كانت الخلفاء قبلك من بني أمية إذا أتت إليهم الظلامة أزيلت في الحال، ولقد كنت أسافر إلى الصين يا أمير المؤمنين، فقدمت مرة فوجدت الملك الذي به قد فقد سمعه، فبكى، فقال له وزراؤه: ما يبكيك أيها الملك؟ لا أبكى الله لك عيناً إلا من خشيته.

فقال: والله ما بكيت لمصيبة نزلت بي وإنما أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمعه. ثم قال: إن كان سمعي ذهب فإن بصري لم يذهب. نادوا في الناس لا يلبس أحد ثوباً أحمر إلا مظلوم. وكان يركب الفيل طرفي النهار ويدور في البلد لعله يجد أحداً لابساً ثوباً أحمر فيعلم أنه مظلوم فينصفه. وهذا الأمير رجل مشرك غلبت عليه رأفته على شح نفسه بالمشركين، وأنت مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يا أمير المؤمنين! لا تجعل الأموال إلا لإحدى ثلاث، فإن قلت: إنما أجمع الأموال لصالح الملك فقد أراك الله عبرةً في الملوك والقرون من قبلك ما أغنى عنهم ما أعدوا من الأموال والرجال والكراع، حين أراد الله بهم ما أراد، وإن قلت: إنما أجمع للولد، فقد أراك الله عبرة فيمن تقدم ممن

جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنهم شيئاً بل ربما مات فقيراً ذليلاً حقيراً؛ وإن قلت: إنما أجمعه لغاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها، فوالله ما فوق منزلتك إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح.

فبكى المنصور بكاء شديداً ثم قال: وكيف أعمل وقد فرت مني العباد ولم تقربني، افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم وخذ المال مما حل وطاب، واقسمه بالحق والعدل، وأنا ضامن من هرب أن يعود إليك.

فقال المنصور: نفعل إن شاء الله تعالى.

وجاء المؤذن فأذن للصلاة فقام وصلى فلما قضى صلاته طلب الرجل فلم يجده، فقال لصاحب الشرطة: علي بالرجل الساعة.

فخرج يتطلبه فوجده عند الركن اليماني فقال له: أجب أمير المؤمنين.

فقال: ليس إلى ذلك من سبيل.

فقال: إذن يضرب عنقي.

فقال: ولا إلى ضرب رقبتك من سبيل. ثم أخرج من مزود كان معه رقًّا مكتوباً فقال له: خذه فإن فيه دعاء الفرج من دعا به صباحاً ومات من يومه مات شهيداً، ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيداً. وذكر له فضلاً عظيماً وثواباً جزيلاً. فأخذه صاحب الشرطة وأتى به المنصور فلما رآه قال له: ويلك أو تحسن السحر؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين. ثم قص عليه القصة، فأمر المنصور بنقله وأمر له بألف دينار، وهو هذا.

اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء، وعلمك بما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك. وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك، وعلانية القول كالسر في علمك، وانقاد كل شيء لعظمتك، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك، اجعل لي من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجاً ومخرجاً. اللهم، إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه، أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً، فإنك أنت المحسن إليَّ وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك، تتودد إليَّ بالنعم وأتبغض إليك بالمعاصي، ولكن الثقة بك حملتني

على الجراءة عليك، فجد بفضلك وإحسانك علي، إنك أنت الرؤوف الرحيم[1].

## واحدة بواحدة والبادي أظلم:

وحدث عبد الله البلتاجي، قال: دخل ابن أبي ليلى على أبي جعفر المنصور، وكان ابن أبي ليلى قاضياً فقال أبو جعفر: إن القاضي يرد عليه. من ظرائف الناس ونوادرهم أمور، فإن كان ورد عليك شيء فحدثنيه، فقد طال علي يومي.

قال: والله يا أمير المؤمنين، قد ورد علي منذ ثلاثة أيام أمر ما ورد علي مثله. أتتني عجوز تكاد تنال الأرض بوجهها أو تسقط من انحنائها فقالت: أنا بالله وبالقاضي أن يأخذ لي بحقي وأن يعينني على خصمي.

قلت: ومن خصمك؟ قالت: ابنة أخ لي.

فدعوت بها فجاءت امرأة ضخمة ممتلئة شحمًا فجلست منبهرة. فذهبت العجوز تتظلم، فقالت الشابة: أصلح الله القاضي، مرها فلتسكت حتى أتكلم بحجتي وحجتها فإن لحنت بشيء فلترد علي، فإن أذنت لي أسفرت.

فقالت العجوز: إن أسفرت قضيت لها.

فقلت لها: أسفري، فأسفرت عن وجه والله ما ظننت أنه يكون مثله إلا في الجنة. فقالت: أصلح الله القاضي، هذه عمتي مات والدي وتركني يتيمة في حجرها فربتني فأحسنت التربية، حتى إذا بلغت مبلغ النساء قالت لي: يا بنت أخي، هل لك في التزويج؟ قلت: ما أكره ذلك يا عمة.

قالت العجوز: نعم.

قالت: فخطبني وجوه أهل الكوفة فلم ترض إلا رجلاً صيرفيًّا، فتزوجني، فكنا كأننا ريحانتان ما أظن أن الله خلق غيره يغدو إلى سوقه ويروح علي بما رزقه الله تعالى. فلما رأت العمة موقعه مني وموقعي منه حسدتنا على ذلك، وكانت لها ابنةً فشوفتها وهيأتها لدخول زوجي، فوقعت

(1) الإتليدي، إعلام الناس بما وقع للبرامكة، ص 35.

عينه عليها، فقال: يا عمة هل لك أن تزوجيني ابنتك؟ قالت: نعم بشرط.

فقال لها: وما الشرط؟ قالت: تصير أمر ابنة أخي إلي.

قال: قد صيرت أمرها إليك.

قالت: فإني قد طلقتها ثلاثاً بتةً.

وزوجت ابنتها زوجي، فكان يغدو عليها ويروح، فقلت لها: يا عمتي أتأذنين لي أن أنتقل عنك؟ قالت: نعم.

فانتقلت عنها وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال: ما لي لا أرى ربيبتنا؟ قالت: طلقها زوجها فانتقلت عنا.

فقال: إن لها من الحق علينا أن نعزيها بمصيبتها.

فلما بلغني مجيئه إلي تهيأت له وتشوفت. فلما دخل علي عزاني بمصيبتي، ثم قال: إن فيك بقيةً من الشباب؛ فهل لك أن أتزوج بك؟ قلت: ما أكره ذلك ولكن على شرط.

قال لي: وما الشرط؟ قلت: تصير أمر عمتي بيدي.

قال: فإني قد فعلت وصيرت أمرها بيدك.

قلت: فإني قد طلقتها ثلاثاً بتة.

قالت: فقدم علي بثقله من الغد ومعه ستة آلاف درهم فأقام عندي ما أقام، ثم إنه اعتل وتوفي فلما انقضت عدتي جاء زوجي الأول الصيرفي يعزيني بمصيبتي فلما بلغني مجيئه تهيأت وتشوفت له، فلما دخل علي قال لي: يا فلانة إنك تعلمين أنك كنت أعز الناس علي وأحبهم إلي، وقد حلت المراجعة، فهل لك في ذلك؟ قلت: ما أكره ذلك، ولكن اجعل أمر ابنة عمتي بيدي.

قال: فإني قد فعلت.

قلت: فإني قد طلقتها ثلاثاً بتةً، أصلح الله القاضي، فرجعت إلى زوجي فما اعتدائي عليها.

فقالت العجوز: أنا فعلت مرة، وفعلت مرة بعد أخرى.

فقلت: إن الله لم يوقت في هذا وقتاً، وقد قال تعالى:{ڈ ڈ ڈ ژ ژ

ڑ ڑ ک ک ک ک}} [الحج: ٦٠]. فواحدة بواحدة والبادي أظلم.

فقال القاضي: إن زوج العمة لم يكن له أن يتزوج ابنة أخيها وهي في عدته؛ فأرادت العجوز أن تتولى التفريق بينه وبينها استيفاء لها ومجازاة لها على فعلها، فقلت لها: قد فرقت بينكما، قومي إلى منزلك، انتهى[1].

**ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم وأتيتم ما نهاكم الله عنه فسلبكم العز وألبسكم الذل ونصر أعداءكم عليكم:**

وذكر المنصور يوماً في مجلسه زوال ملك بني أمية وما جرى عليهم، وأنهم عاشوا سعداء وماتوا فقراء، فقال له إسماعيل بن علي الهاشمي: إن عبد الله بن مروان بن محمد في حبسك، وله قصة مع ملك النوبة. فأحضره واسأله عنها. فأحضره، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقال المنصور: رد السلام أمن ولم تسمح نفسي بذلك، ولكن اقعد! فقعد، فقال: ما قصتك مع ملك النوبة؟

فقال: يا أمير المؤمنين، كنت ولي عهد أبي فلما طلبتنا دعوت عشرة من غلماني ودفعت لكل واحد ألف دينار وأوسقت خمس بغال وشددت في وسطي جوهراً له قيمة عظيمة وخرجت هارباً إلى بلاد النوبة، فلما قربنا بعثت غلاماً لي، فقلت له: امض إلى هذا الملك وأقرئه السلام وخذ لنا منه الأمان وابتغ لنا ميرة. فمضى وأبطأ حتى أسأت به الظن، ثم أقبل ومعه رجل فدخل وسلم وقال: الملك يقرئك السلام ويقول لك: من أنت وما جاء بك إلى بلادي؟ أمحارب، أم راغب في ديني، أم مستجير بي؟ فقلت له: رد على الملك، ما أنا بمحارب ولا راغب في دينك ولا ممن يبتغي بدينه بدلاً بل مستجير به.

فذهب الرسول ورجع إلي وقال: الملك يقول لك إني أجيء إليك غداً فلا تحدث نفسك حدثاً ولا شيئاً من الميرة.

فقلت لأصحابي: افرشوا الفراش، ففرش لي وجلست من الغد أرقبه، وإذا هو قد أقبل وعليه بردان قد ائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر، حافي

(1) إعلام الناس بما وقع للبرامكة، ص 36.

الـرجلين، ومعـه عشـرة معهـم الحـراب: ثلاثـة يقدمونـه وسـبعة خلفـه، فاستصغرت أمره وسولت لي نفسي قتله، فلما قرب إذا سواد عظيم، قلت: مـا هذا؟ قـالوا: الخيل. فوافى بهـا عشرة آلاف عنـان، ووافت الخيل عند دخوله فأحدقوا بنا، فلما دخل جلس على الأرض، قال: فقلت لترجمانـه: لِمَ لمْ يقعد على الموضع الذي وطـئ لـه؟ فسـأله، فقـال: قل لـه: إنـه ملك وكل ملك حقه أن يكون متواضعاً لله وعظمته إذ رفعه الله على عباده.

ثم نكت بإصبعه الأرض طويلاً ورفع رأسه وقـال: قل لـه كيف سلبتم هذا الملك، فأخذ منكم وأنتم أقرب النـاس إلـى نبيكم؟ فقلت: جـاء من هو أقرب منا قرابة إليه، فسلبنا وغلبنا وطردنا فخرجت إليك مستجيراً بالله، ثم بك.

قال: فلم كنتم تشربون الخمر وهو محرم عليكم؟ قلت: فعل ذلك عبيد وأعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا من غير رأينا.

قال: فلم تركبون على الديباج وعلى خيولكم سروج الذهب والفضة وهي محرمة عليكم؟ قلت: فعل ذلك عبيد وأعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا بغير رأينا.

قال: فلم كنتم إذا خرجتم إلى الصيد مررتم على القرى وكلفتم أهلها ما لا طاقة لهم به بالضرب والإهانة ولا يقنعكم ذلك حتى تحطموا زرعهم في طلب دراج قيمته نصف درهم، والتكليف والعناء محرم عليكم؟ قلت: فعل ذلك عبيد وغلمان وأتباع.

قال: لا! ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم وأتيتم ما نهاكم الله عنه فسلبكم العز وألبسكم الذل ونصر أعداءكم عليكم، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد، وإني أخاف أن تنزل بك النقمة إذ كنت من الظلمة فتشملني معك، فإن النقمة إذا نزلت شملت، فاخرج بعد ثلاث، فإن وجدتك بعدها أخذت ما معك وقتلتك ومن معك.

ثم وثب قائماً وخرج وقمت ثلاثاً ورجعت إلى مصر فأخذني عاملك وبعث بي إليك، وها أنا ذا والموت أحب إلي من الحياة.

فرق له المنصور وهم بإطلاقه، فقال له إسماعيل بن علي: في عنقي بيعة هذا.

قال: فما ترى؟ قال: ينزل في دار من دورنا ويجري عليه ما يجري على مثله.ففعل به ذلك، انتهى [1].

## بليَّتان: المنصور والطاعون:

وخطب المنصور يوماً بالشام، فقال: أيها الناس ينبغي لكم أن تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم في فإني منذ وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذي كان يجيئكم.

فقال أعرابي: إن الله أكرم من أن يجمعك أنت والطاعون علينا.

## فاجلده ثمانين، واجلد الذي جاء به مائة:

ودخل ابن هرمة على المنصور وامتدحه، فقال له المنصور: سل حاجتك؟ قال: تكتب إلى عاملك بالمدينة إذا وجدني سكران لا يحدني.

فقال له المنصور: هذا حد لا سبيل إلى تركه.

فقال: ما لي حاجة غيرها.

فقال لكاتبه: اكتب إلى عاملنا بالمدينة من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين، واجلد الذي جاء به مائة.

فكان الشرطة يمرون عليه وهو سكران ويقولون: من يشتري ثمانين بمائة، فيمرون عليه ويتركونه، انتهى [2].

## الرجل الثبت الجنان:

وحدث أحمد بن موسى قال: ما رأيت رجلاً أثبت جناناً ولا أحسن معرفة ولا أظهر حجة من رجل رفع فيه عند المنصور بأن عنده أموالاً لبني أمية، فأمر المنصور حاجبه الربيع أن يحضره، فلما حضر بين يديه. قال المنصور: رفع إلينا أن عندك ودائع وأموالاً وسلاحاً لبني أمية فأخرجها لنا لنجمع ذلك إلى بيت المال.

(1) إعلام الناس بما وقع للبرامكة، ص 36.
(2) إعلام الناس بما وقع للبرامكة، ص 36.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، أنت وارث لبني أمية؟ قال: لا.

قال: فلِمَ تسأل إذن عما في يدي من أموال بني أمية ولست بوارث لهم ولا وصي.

فأطرق المنصور ساعة، ثم قال: إن بني أمية ظلموا الناس وغصبوا أموال المسلمين.

فقال الرجل: يحتاج أمير المؤمنين إلى بينة يقبلها الحاكم تشهد أن المال الذي لبني أمية هو الذي في يدي وأنه هو الذي غصبوه من الناس. وأن أمير المؤمنين يعلم أن بني أمية كانت لهم أموال لأنفسهم غير أموال المسلمين التي اغتصبوها على ما يتهم أمير المؤمنين؟ قال: فسكت المنصور ساعة، ثم قال: يا ربيع، صدق الرجل ما يجب لنا على الرجل شيء، ثم قال للرجل: ألك حاجة؟ قال: نعم.

قال: ما هي؟ قال: أن تجمع بيني وبين من سعى في إليك فوالله يا أمير المؤمنين ما لبني أمية عندي مال ولا سلاح. وإنما أحضرت بين يديك وعلمت ما أنت فيه من العدل والإنصاف واتباع الحق واجتناب المظالم، فأيقنت أن الكلام الذي صدر مني هو أنجح وأصلح لما سألتني عنه.

فقال المنصور: يا ربيع، اجمع بينه وبين الذي سعى به فجمع بينهما. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا أخذ لي خمسمائة دينار وهرب، ولي عليه مسطور شرعي.

فسأل المنصور الرجل فأقر بالمال. قال: فما حملك على السعي كاذباً؟ قال: أردت قتله ليخلص لي المال.

فقال الرجل: قد وهبتها له يا أمير المؤمنين، لأجل وقوفي بين يديك وحضوري مجلسك ووهبته خمسمائة دينار أخرى لكلامك لي.

فاستحسن المنصور فعله وأكرمه ورده إلى بلده مكرماً.

وكان المنصور كل وقت يقول: ما رأيت مثل هذا الشيخ قط، ولا أثبت من جنانه ولا من حجني مثله ولا رأيت مثل حمله ومروءته، انتهى[1].

(1) إعلام الناس بما وقع للبرامكة، ص 37، 38.

## كتاب المنصور:

ذكر أبو الحسن الماوردي: أن أبا جعفر المنصور بلغه عن جماعة من كتاب دواوينه أنهم زوروا فيها وغيروا، فأمر بإحضارهم، وتقدم بتأديبهم، فقال حدث منهم وهو يضرب:

**أطال الله عمرك في صلاح ... وعزّ يا أمير المؤمنينا**
**بعفوك نستجير فإن تجرنا ... فإنّك عصمةٌ للعالمينا**
**ونحن الكاتبون وقد أسأنا ... فهبنا للكرام الكاتبينا**

فأمر بتخليتهم، ووصل الفتى وأحسن إليه[1].

## يا ربيع لا ينصرف من مقامه إلا بمائة ألف درهم:

قال خزيمة بن يحيى: قدم رجل من أهل الشأم من بني مرة على أبي جعفر المنصور فتكلم معه كلاما حسنا فقال له أبو جعفر: حاجتك؟ فقال: يبقيك الله يا أمير المؤمنين. قال: حاجتك فإنه ليس كل ساعة يمكنك هذا ولا تؤمر به، فقال: والله ما أستقصر عمرك ولا أخاف بخلك ولا أغتنم مالك وإن سؤالك لشرف وإن عطاءك لزين وما بامرئ بذل وجهه إليك نقص ولا شين فقال أبو جعفر يا ربيع لا ينصرف من مقامه إلا بمائة ألف درهم فحملت معه[2].

## فلا نكافئ الا بالتي هي أحسن:

ولما مدح ابن هرمة أبا جعفر المنصور أمر له بألفي درهم فاستقلها وبلغ ذلك أبا جعفر فقال أما يرضى أني حقنت دمه وقد استوجب إراقته ووفرت ماله وقد استحق تلفه وأقررته وقد استأهل الطرد وقربته وقد استحق البعد أليس هو القائل في بني أمية

(1) ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص 6.
(2) أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، الأمالي في لغة العرب، نشر دار الكتب العلمية، 1398هـ 1978م، 228/3.

**إذا قيل من عند ريب الزمان ... لمعتز فهز ومحتاجها**
**ومن يعجل الخيل يوم الوغى ... بإلجامها قبل إسراجها**
**أشارت نساء بني مالك ... إليك به قبل أزواجها**

قال ابن هرمة فإني قد قلت فيك أحسن من هذا، قال: هاته، قال: قلت:

**اذا قلت أي فتى تعلمون ... أهش إلى الطعن بالذابل**
**وأضرب للقرن يوم الوغى ... وأطعم في الزمن الماحل**
**أشارت إليك أكف الورى ... إشارة غرقي إلى ساحل**

قال المنصور: أما هذا الشعر فمسترق وأما نحن فلا نكافئ إلا بالتي هي أحسن [1].

## سياسة المنصور في العفو عن المسيء:

لما احتال أبو الأزهر بالمهلب بن عبيثر المهري لعبد الحميد بن ربعي بن خالد بن مغداق وأسلمه إلى حميد بن قحطبة وأسلمه حميد إلى المنصور قال: لا عذر فأعتذر وقد أحاط بي الذنب وأنت أولى بما ترى قال: لست أقتل أحدا من آل قحطبة، بل أهب مسيئهم إلى محسنهم وغادرهم لوفيهم قال: إن لم يكن في مصطنع فلا حاجة لي في الحياة ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق ابن عم، قال: اسكت مقبوحا مشقوحا اخرج فإنك أنوك جاهل أنت عتيقهم وطليقهم ما حييت [2].

## اخرج إلى لعنة الله وأليم عذابه:

وحدث صباح بن خاقان، قال: حدثني أبي أن أبا جعفر المنصور لما أتي برأس إبراهيم بن عبد الله، فوضع بين يديه، جاء بعض أولئك الرويدية، فضرب الرأس بعمودٍ كان في يده. فقال المنصور للمسيب: دق

(1) أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق المحامي فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، الطبعة الأولى، 1968، 556/1.
(2) الجاحظ، البيان والتبيين، 557/1.

وجهه! فدق المسيب أنفه. ثم قال المنصور له: يا بن اللخناء! تجيء إلى رأس ابن عمي وقد صار إلى حال لا يدفع ولا ينفع تضر به بعمودك، كأنك رأيته وهو يريد نفسي، فدفعته عني. اخرج إلى لعنة الله وأليم عذابه.

## تطأ بساطي، وتترحم على عدوي؟

ويقال إن أبا جعفر وجه إلى شيخٍ من أهل الشام، وكان من بطانة هشام، فسأله عن تدبير هشام في بعض حروبه الخوارج، فوصف له الشيخ ما دبر، فقال: فعل، رحمه الله، كذا، وضع، رحمه الله، كذا.

فقال المنصور: قم، عليك لعنة الله! تطأ بساطي، وتترحم على عدوي؟ فقام الرجل، فقال وهو مول: إن نعمة عدوك لقلادة في عنقي، لا ينزعها إلا غاسلي. فقال له المنصور: ارجع، يا شيخ! فرجع. فقال له: أشهد أنك نهيض حرةٍ وغراس شريف! عد إلى حديثك! فعاد الشيخ إلى حديثه، حتى إذا فرغ، دعا له بمالٍ ليأخذه، فقال: والله يا أمير المؤمنين، ما بي من حاجةٍ إليه؟ ولقد مات عني من كنت في ذكره آنفاً، فما أحوجني إلى وقوفٍ على باب أحدٍ بعده. ولولا جلالة عز أمير المؤمنين، وإيثار طاعته، ما لبست لأحدٍ بعده نعمةً.

فقال المنصور: مت إذا شئت، فلله أنت! فلو لم يكن لقومك غيرك، لكنت قد أبقيت لهم مجداً مخلداً [1].

## هذا الذي أراد أن يكون غدًا فصار بعد غد:

قال أبو عبد الله بن عرفة: لما هم أبو جعفر المنصور بالبيعة للمهدي، دخل عليه الحسن بن قحطبة فقال: يا أمير المؤمنين! ما تنتظر بالفتى المقبل المبارك، جدد له البيعة فما أحد ممتنع وراء هذا الستر، ومن أبى فهذا سيفي، وبلغ الخبر عيسى بن موسى(ولي العهد)، فقال: والله لئن ظفرت به لأشرب البارد، وبلغ الحسن بن قحطبة الخبر والمنصور فدخل الحسن بن قحطبة على المنصور وعنده عيسى بن موسى، فتمثل المنصور بقول جرير:

(1) الجاحظ،التاج في أخلاق الملوك، 24/1.

**زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً ::: أبشر بطول سلامة يا مربع [1]**

فلما خلع المنصور عيسى بن موسى من ولاية العهد مر في موكب، فقال إنسان: من هذا؟ فسمعه مخنث، فقال: هذا الذي أراد أن يكون غداً فصار بعد غد[2].

## ذاك قاتل حبيبي:

قال أبو الفضل العباس بن الفضل الربعي: كان أبو جعفر المنصور في بعض أسفاره في أيام بني أمية تزوج امرأة من الأزد بالموصل عن ضر شديد أصابه حتى أكرى نفسه مع الملاحين يمد في الحبل، حتى انتهى إلى الموصل أو فعل ذلك لأمر خافه على نفسه، فتنكر وأكرى نفسه في مدادي السفن، فخطب هذه المرأة ورغبها في نفسه، ووعدها ومناها وأخبرنا أنه نابه القدر، وأنه من أهل بيت شرف، وأنها إن تزوجته سعدت به، فلم يزل يمنيها بهذا وشبهه حتى أجابته وأقام معها، وكان يختلف في أسبابه ويجعل طريقه عليها بما رزقه الله عز وجل، ثم اشتملت على حمل، فقال لها: أيتها المرأة! هذه رقعة مختومة عندك لا تفتحيها حتى تضعي ما في بطنك، فإن ولدت ابناً فسميه جعفراً وكنيه أبا عبد الله، وإن ولدت بنتاً فسميها فلانة، وأنا عبد الله ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، فاستري أمري فإنا قوم مطلوبون، والسلطان إلينا سريع، وودعها وخرج، فقضي أنها ولدت ذكراً وأخرجت الرقعة وقرأت النسب فسمته جعفراً وضرب الدهر على ذلك ما تسمع له خبراً، ونشأ الصبي مع أخواله وأهل بيت أمه، وكان كيساً ذهناً لقناً واستخلف أبو العباس فقيل للمرأة: إن كنت صادقة في رقعتك وكان من كتبها صادقاً فإن زوجك الخليفة أمير المؤمنين، قالت: ما أدري صفوا لي صفة هذا الخليفة، قالوا: غلام حين

(1) مربع رجل من بني جعفر بن كلاب، كان يروي شعر جرير فنذر الفرزدق دمه، فقال جرير:

**زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً ::: أبشر بطول سلامة يا مربعُ**
**إن الفرزدق قد تبين لؤمه ::: حيث التقى حششاؤه والأخدعُ**

(2) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 59/1.

اتصل وجهه، قالت: ليس هو هو، قيل: فاستري إذاً أمرك، ولم يلبث أبو العباس أن مات واستحق عندها اليأس، وأقبل ابنها على الأدب فتأدب وظرف وكتب ونزعت به همته إلى بغداد، فدخل ديوان أبي أيوب كاتب المنصور، وانقطع إلى بعض أهله فأتى عليه زمان يتقوت الكتب ويتزيد في أدبه وفهمه وخطه، حتى بلغ أن صار يكتب بين يدي أبي أيوب، إلى أن تهيأ أن خرج خادم يوماً إلى الديوان يطلب كاتباً يكتب بين يدي المنصور، فقال أبو أيوب للغلام: خذ دواتك وقم واكتب بين يدي أمير المؤمنين، فدخل الغلام فكتب وكانت تتهيأ من أبي جعفر إليه النظرة بعد النظرة يتأمله، وألقيت عليه محبته واستجاد خطه واسترشق فهمه، فلبث زماناً لا يزال الخادم قد خرج فيقول: يا غلام خذ دواتك وقم واكتب بين يدي أمير المؤمنين، واستراح أبو أيوب إلى مكانه، ورأى أنه قد حمل عنه ثقلاً، وبر الغلام ووصله وكساه كسوة تصلح أن يدخل بها إلى أمير المؤمنين، ثم إن أبا جعفر قال للغلام يوماً: ما اسمك؟ قال: جعفر، قال: ابن من؟ فسكت متحيراً، قال: ابن من ويحك؟ قال: ابن عبد الله قال: فأين أبوك؟ قال: لم أره ولم أعرفه، ولكن أمي أخبرتني أن أبي شريف، وأن عندها رقعة بخطه فيها نسبه، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، فساعة ذكر الرقعة تغير وجه المنصور، فقال: وأين أمك؟ قال: بالموصل، قال: وأين تنزلون؟ قال: في موضع كذا، قال: فتعرف فلاناً؟ قال: نعم هو إمام مسجد محلتنا، قال: أفتعرف فلاناً؟ قال: نعم بقال في سكتنا، فلما رأى الغلام أبا جعفر ينزع بأسماء قوم يعرفهم أدركته هيبة له، وجزع وتدمع، فأدركت أبا جعفر الرقة عليه فلم يتمالك أن قال: فلانة بنت فلان من هي منك؟ قال: أمي، قال: ففلانة؟ قال: خالتي، قال: ففلان؟ قال: خالي، فضمه إليه وبكى، وقال: يا غلام! لا يعلمن أبو أيوب ولا أحد من خلق الله تعالى ما دار بيني وبنيك، انظر انظر احذر احذر، فنهض الغلام فخرج، فقال له أبو أيوب لقد احتبست عند أمير المؤمنين، قال: كتبت كتباً كثيرة وأملها علي، قال: فأين هي؟ قال: جعلها نسخاً يتردد فيها حتى يحكمها ثم تخرج إلى الديوان ثم إن أبا جعفر جعل يقول في بعض الأيام لأبي أيوب: هذا الغلام الذي يكتب بين يدي كيس

فاستوص به، قال: فاتهم أبو أيوب الغلام أنه يلقي إلى أبي جعفر الشيء بعد الشيء من خبره، ثم لم يلبث أن سأله عنه مرة بعد مرة فقذف في قلب أبي أيوب بغض الغلام، وأنه يقوم مقامه إن فقده أبو جعفر، وقذف في قلبه أنه يسعى عليه وأنه يخرج أخباره، فجعل إذا خرج الخادم يطلب كاتباً بعث معه غيره وأبو جعفر يزداد ولهاً إلى الغلام ويجن جنوناً وليس يمنعه من إدنائه وإظهار أمره إلا لأمر يريده، فلما رأى أن أبا أيوب يحبسه عنه عناداً، قال للخادم: اخرج إلى الديوان فجئني بفلان الغلام الذي كان يكتب بين يدي، فإن بعث معك أبو أيوب بغيره فقل:

لا، أمرني أمير المؤمنين ألا يدخل عليه غيره، ففعل الخادم ذلك فاستحق في قلب أبي أيوب ما حذره وحدثته به نفسه، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين - جعلني الله فداك - قد تعرفت من أبي أيوب البغض والاستثقال بمكاني، وله غوائل لا يحيط بها علمي وأنا أخافه على نفسي، فقال له أبو جعفر: بارك الله عليك، فما أخطأت الذي في نفسي وهذا كله يا بني قد جال في صدري، فإذا كان غد فتعرض لأن يغلظ لك، فإذا أغلظ فقم فانصرف كأنك مغضب، ولا تعد إلى الديوان واجعل وجهك إلى أمك، وأوصل إليها هذا العقد وهذا الكيس وكتابي هذا، واحمل أمك ومن اتبعها من قرابتك وأقبل فانزل موضع كذا، فإني منفذ إليك خادماً يتفقد أمورك ويعرف خبرك، ولا تطلعن أحداً من الخلق طلع ما معك، وامض بهذا المال وبهذا العقد وأحرزه أولاً قبل رجوعك إلى الديوان، ثم قال للخادم: أخرجه من باب كذا وكذا، فخرج الغلام فأحرز ما كان معه ثم رجع إلى الديوان، وأبو أيوب في فكره من احتباسه عند المنصور، ورجع الغلام بوجه بهج مسرور لا يخفي ذلك عليه وظهور الفرح في وجهه وشمائله، فقال أبو أيوب: أحلف بالله لقد رجع هذا الغلام بغير الوجه الذي مضى به، ولقد دار بينه وبين أمير المؤمنين من ذكرى ما سره، واستشعر الوحشة منه وصرف أكثر عمله عنه، ثم لم يلبث أن أغلظ له، فقال الغلام: أنا إنسان غريب أطلب الرزق وأنت تستخف بي، فكأني قد ثقلت عليك فأنتحي عنك قبل أن تطردني، ثم قام فانصرف وافتقده أبو أيوب أياماً، ورأى أن أبا جعفر لا يسأل عنه ولا يذكره، ثم إن نفس أبي أيوب نازعته إلى علم

حقيقة خبره، فأرسل من يسأل عنه في الموضع الذي كان نازلاً فيه، فقيل له: إنه قد تهيأ للسفر وتجهز جهازاً حسناً وشخص إلى أهله بالموصل، فقال أبو أيوب في نفسه: ومن أين له ما يتجهز به، وكم مبلغ ما ارتزق معي وارتفق به؟ لهذا الأمر نبأ، وجعلت نفسه تزداد وحشة منه ومن خبره إلى أن قيل له: قد كان أبو جعفر وصله بمال ووهب له شيئاً، فقال في نفسه: هذا الذي ظننت وقد ربصه لمكاني وينبغي أن يكون استأذنه في أن يخرج إلى أهله فيلم بهم ثم يرجع إليه فيقلده مكاني، فقال لرجل من أصحابه: اخرج إلى طريق الموصل قرية قرية براً وبحراً، فإذا عرفت موضعه فاقتله وجئني بما معه، فشخص وتهيأ، ثم إن الغلام لما خرج عن بغداد رأى أنه قد أمن فقصر في مسيره، وكان يقيم في الموضع فيستطيبه اليوم واليومين والأكثر والأقل، فلحقه رسول أبي أيوب وعرفه، فباتا بقرية فقام إليه الرسول فخنقه وطرحه في البئر وأخذ خرجه وخرائط كانت معه، وركب دابة له ورجع إلى أبي أيوب وسلم ذلك إليه وشرح الخبر له، ففتش متاعه أبو أيوب فإذا المال والعقد فعرفه، وإذا كتاب المنصور بخطه إلى أمه فوجم أبو أيوب وندم وعلم أنه قد عجل وأخطأ، وأن الخبر لم يكن كما ظن، وعزم على الحلف والمكابرة إن عثر على شيء من أمره، وأبطأ خبر الغلام على أبي جعفر، واستبطأه في الوقت الذي ضرب له، فدعا خادماً من ثقاته ورجلاً من خاصته، فقال لهما: استقرئا المنازل إلى الموصل منزلاً منزلاً وقرية قرية، وأعطيا صفة الغلام حتى تدخلا الموصل، ثم اقصدا موضع كذا من الموصل فسلا عن فلانة، ووصف لهما كل ما أراد ففعلا، فلما انتهيا إلى الموضع الذي أصيب فيه الغلام أعلما خبره، وذكروا الوقت الذي أصيب فيه فإذا التاريخ بعينه، ثم مضيا إلى الموصل فسألا عن أمه فوجداها أشد خلق الله تعالى ولهاً إلى ابنها، وحاجة إلى علم خبره، فأطلعاها طلع حاله، وأمراها أن تستر أمرها، ثم رجعا إلى أبي جعفر بجملة خبره، فكادت أمه أن تقتل نفسها ولم ترد الدنيا بعده، وكان المنصور يذكره فيكاد ذكره يصدع قلبه، وأجمع أبو جعفر على الإيقاع بأبي أيوب عند ذلك، فاستصفى ماله ومال أهل بيته، ثم قتلهم جميعاً وأباد عصراءهم، وكان إذا ذكر أبا أيوب لعنه وسبه، وقال: ذاك قاتل

حبيبي، أمرني أمير المؤمنين ألا يدخل عليه غيره، ففعل الخادم ذلك فاستحق في قلب أبي أيوب ما حذره وحدثته به نفسه، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين - جعلني الله فداك - قد تعرفت من أبي أيوب البغض والاستثقال بمكاني، وله غوائل لا يحيط بها علمي وأنا أخافه على نفسي، فقال له أبو جعفر: بارك الله عليك، فما أخطأت الذي في نفسي وهذا كله يا بني قد جال في صدري، فإذا كان غد فتعرض لأن يغلظ لك، فإذا أغلظ فقم فانصرف كأنك مغضب، ولا تعد إلى الديوان واجعل وجهك إلى أمك، وأوصل إليها هذا العقد وهذا الكيس وكتابي هذا، واحمل أمك ومن اتبعها من قرابتك وأقبل فانزل موضع كذا، فإني منفذ إليك خادماً يتفقد أمورك ويعرف خبرك، ولا تطلعن أحداً من الخلق طلع ما معك، وامض بهذا المال وبهذا العقد وأحرزه أولاً قبل رجوعك إلى الديوان، ثم قال للخادم: أخرجه من باب كذا وكذا، فخرج الغلام فأحرز ما كان معه ثم رجع إلى الديوان، وأبو أيوب في فكره من احتباسه عند المنصور، ورجع الغلام بوجه بهج مسرور لا يخفي ذلك عليه وظهور الفرح في وجهه وشمائله، فقال أبو أيوب: أحلف بالله لقد رجع هذا الغلام بغير الوجه الذي مضى به، ولقد دار بينه وبين أمير المؤمنين من ذكرى ما سره، واستشعر الوحشة منه وصرف أكثر عمله عنه، ثم لم يلبث أن أغلظ له، فقال الغلام: أنا إنسان غريب أطلب الرزق وأنت تستخف بي، فكأني قد ثقلت عليك فأنتحي عنك قبل أن تطردني، ثم قام فانصرف وافتقده أبو أيوب أياماً، ورأى أن أبا جعفر لا يسأل عنه ولا يذكره، ثم إن نفس أبي أيوب نازعته إلى علم حقيقة خبره، فأرسل من يسأل عنه في الموضع الذي كان نازلاً فيه، فقيل له: إنه قد تهيأ للسفر وتجهز جهازاً حسناً وشخص إلى أهله بالموصل، فقال أبو أيوب في نفسه: ومن أين له ما يتجهز به، وكم مبلغ ما ارتزق معي وارتفق به؟ لهذا الأمر نبأ، وجعلت نفسه تزداد وحشة منه ومن خبره إلى أن قيل له: قد كان أبو جعفر وصله بمال ووهب له شيئاً، فقال في نفسه: هذا الذي ظننت وقد ربصه لمكاني وينبغي أن يكون استأذنه في أن يخرج إلى أهله فيلم بهم ثم يرجع إليه فيقلده مكاني، فقال لرجل من أصحابه: اخرج إلى طريق الموصل قرية قرية برًّا وبحرًا، فإذا عرفت موضعه

فاقتله وجئني بما معه، فشخص وتهيأ، ثم إن الغلام لما خرج عن بغداد رأى أنه قد أمن فقصر في مسيره، وكان يقيم في الموضع فيستطيبه اليوم واليومين والأكثر والأقل، فلحقه رسول أبي أيوب وعرفه، فباتا بقرية فقام إليه الرسول فخنقه وطرحه في البئر وأخذ خرجه وخرائط كانت معه، وركب دابة له ورجع إلى أبي أيوب وسلم ذلك إليه وشرح الخبر له، ففتش متاعه أبو أيوب فإذا المال والعقد فعرفه، وإذا كتاب المنصور بخطه إلى أمه فوجم أبو أيوب وندم وعلم أنه قد عجل وأخطأ، وأن الخبر لم يكن كما ظن، وعزم على الحلف والمكابرة إن عثر على شيء من أمره، وأبطأ خبر الغلام على أبي جعفر، واستبطأه في الوقت الذي ضرب له، فدعا خادماً من ثقاته ورجلاً من خاصته، فقال لهما: استقرئا المنازل إلى الموصل منزلاً منزلاً وقرية قرية، وأعطيا صفة الغلام حتى تدخلا الموصل، ثم اقصدا موضع كذا من الموصل فسلا عن فلانة، ووصف لهما كل ما أراد ففعلا، فلما انتهيا إلى الموضع الذي أصيب فيه الغلام أعلما خبره، وذكروا الوقت الذي أصيب فيه فإذا التاريخ بعينه، ثم مضيا إلى الموصل فسألا عن أمه فوجداها أشد خلق الله تعالى ولهاً إلى ابنها، وحاجة إلى علم خبره، فأطلعاها طلع حاله، وأمراها أن تستر أمرها، ثم رجعا إلى أبي جعفر بجملة خبره، فكادت أمه أن تقتل نفسها ولم ترد الدنيا بعده، وكان المنصور يذكره فيكاد ذكره يصدع قلبه، وأجمع أبو جعفر على الإيقاع بأبي أيوب عند ذلك، فاستصفى ماله ومال أهل بيته، ثم قتلهم جميعاً وأباد عصراءهم، وكان إذا ذكر أبا أيوب لعنه وسبه، وقال: ذاك قاتل حبيبي[1].

(1) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص 106.

## المتفضل جاوز حد المنصف:

حدث الأصمعي:أن أبا جعفر المنصور حين عفا عن أهل الشام، قال له رجلٌ، يا أمير المؤمنين! الانتقام عدلٌ والتجاوز فضل، والمتفضل قد جاوز حد المنصف، فنحن نعيذ أمير المؤمنين بالله عز وجل من أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين، وألا يرتفع إلى أعلى الدرجتين[1].

## ولد لأبي دلامة ابنة:

قال حدثني محمد بن حفص المعجلي: ولد لأبي دلامة ابنة فغدا على أبي جعفر المنصور فقال له: يا أمير المؤمنين إنه ولد لي الليلة ابنة، قال: فما سميتها؟ قال: أم دلامٍ. قال: وأي شيء تريد؟ قال: أريد أن يعينني عليها أمير المؤمنين، ثم أنشده:

**لو كان يقعد فوق الشمس من كرم :: قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس**
**ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم :: إلى السماء فأنتم أكرم الناس**

قال: فهل قلت فيها شيئاً؟ قال: نعم، قلت:

**فما ولدتك مريم أم عيسى :: ولم يكفلك لقمان الحكيم**
**ولكن قد تضمك أم سوءٍ :: إلى لباتها وأب لئيم**

قال: فضحك أبو جعفر، ثم أخرج أبو دلامة خريطةً من خرق فقال: ما هذه؟ قال: يا أمير المؤمنين أجعل فيها ما تحبوني به، فقال: املؤوها له دراهم فوسعت ألفي درهم[2].

## والله لَـتَلِيَنَّ الخِلافة أو أكون جاهلاً أو كذاباً:

يزعمون أنَّ أبا جعفر المنصور نزلَ في بعض القُرَى فقرض الفأْرُ مِسْحاً له كان يجلسُ عليه فبعث به ليُرفَأَ فقال لهم الرفَّاء: إنَّ هنا أهل بيتٍ يَعْرفون بقَرضِ الفأْر ما ينال صاحب المتاعِ من خير أو شر فلا عليكم أن

(1) المعافى بن زكريا،الجليس الصالح والأنيس الناصح، 142/1.
(2) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 297/1.

تعرضوه عليهم قبل أَن تصلحوه فبعث المنصورُ إلى شيخهم فلما وقعت عينُه على موضعِ القرضِ وثَب وقام قائماً ثم قال: مَن صاحبُ هذا المِسح فقال المنصور: أنا فقام ثم قال: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةَ الله وبركاتُه والله لَتَلِيَنَّ الخِلافة أو أكون جاهلاً أو كذاباً [1].

## ثم رجع إلى موضعه من الخطبة:

ومن حديث زياد عن مالك بن أنس قال: خطب أبو جعفر المنصور، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس اتقوا الله. فقام إليه رجل من عرض الناس، فقال: أذكرك الله الذي ذكرتنا به يا أمير المؤمنين. فأجابه أبو جعفر بلا فكرة ولا روية: سمعاً وطاعة لمن ذكر بالله، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه فتأخذني العزة بالإثم، فقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين وأما أنت، فوالله ما الله أردت بها، ولكن ليقال: قال فعوقب فصبر، وأهون بها لو كانت، وأنا أحذركم أيها الناس أختها، فإن الموعظة علينا نزلت، ومنا أخذت. ثم رجع إلى موضعه من الخطبة[2].

## أخشى أن تكتب بها معصية الله فأكون شريكك فيها:

عن مالك بن أنس قال: بعث أبو جعفر المنصور إلي وإلى ابن طاوس، فأتيناه فدخلنا عليه، فإذا هو جالس على فرش قد نضدت، وبين يديه أنطاع قد بسطت، وجلاوزة بأيديهم السيوف يضربون الأعناق. فأموا إلينا: أن اجلسا. فجلسنا. فأطرق عنا طويلاً، ثم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاوس، فقال له: حدثني عن أبيك. قال: نعم، سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله** -. فأمسك ساعة. قال مالك: فضممت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأني من دمه. ثم التفت إليه أبو جعفر فقال: عظني يا بن طاوس. قال: نعم يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى يقول:{ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ج

(1) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1416هـ - 1996م، 304/5.
(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 15/1.

ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ}
[الفجر: ٦ - ١٤]. قال مالك: فضممت ثيابي مخافة أن يملأ ثيابي من دمه. فأمسك ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه. ثم قال: يا بن طاوس، ناولني هذه الدواة. فأمسك عنه، ثم قال: ناولني هذه الدواة: فأمسك عنه. فقال: ما يمنعك أن تناولنيها؟ قال: أخشى أن تكتب بها معصية الله فأكون شريكك فيها. فلما سمع ذلك قال: قومًا عني قال ابن طاوس: ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم.

قال مالك: فما زلت أعرف لا بن طاوس فضله [1].

## فقد أعيتني فيك الحيلة:

قال إبراهيم بن أحمد عن الشيباني: كان أبو جعفر المنصور أيام بني أمية إذا دخل البصرة دخل مستتراً، فكان يجلس في حلقة أزهر السمان المحدث. فلما أفضت الخلافة إليه، قدم عليه أزهر، فرحب به وقربه، وقال له ما حاجتك يا أزهر؟ قال: داري متهدمة، وعلي أربعة آلاف درهم، وأريد أن يبني محمد ابني بعياله، فوصله باثني عشر ألفاً، وقال. قد قضينا حاجتك يا أزهر، فلا تأتنا طالباً: فأخذها وارتحل. فلما كان بعد سنة أتاه. فلما رآه أبو جعفر، قال: ما جاء بك يا أزهر؟ قال جئتك مسلماً. قال: إنه يقع في خلد أمير المؤمنين أنك جئت طالباً. قال: ما جئت إلا مسلماً. قال: قد أمرنا لك باثني عشر ألفاً، واذهب فلا تأتنا طالباً ولا مسلماً. فأخذها ومضى. فلما كان بعد سنة أتاه، فقال: ما جاء بك يا أزهر؟ قال: أتيت عائداً. قال: إنه يقع في خلد أمير المؤمنين أنك جئت طالباً. قال: ما جئت إلا عائداً قال أمرنا لك باثني عشر ألفاً فاذهب ولا تأتنا لا طالباً ولا مسلماً ولا عائداً، فأخذها وانصرف. فلما مضت السنة أقبل، فقال له: ما جاء بك يا أزهر؟ قال: دعاء كنت أسمعك تدعو به يا أمير المؤمنين، جئت لأكتبه. فضحك أبو جعفر وقال: إنه دعاء غير مستجاب، وذلك أني قد دعوت الله تعالى به أن لا أراك، فلم يستجب لي، وقد أمرنا لك باثني عشر ألفاً،

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 16/1.

فاذهب وتعال متى شئت، فقد أعيتني فيك الحيلة [1].

## كيف ذلك؟ ويلك!:

ودخل أبو دلامة على أبي جعفر المنصور يوماً وعليه قلنسوة طويلة - وكان قد أخذ أصحابه بلبسها وأخذهم بلبس دراريع عليها مكتوب بين كتفي الرجل: {ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ} [البقرة: ١٣٧]، وأمرهم بتعليق السيوف على أوساطهم - فدخل عليه أبو دلامة في ذلك الزي، فقال له: كيف أصبحت أبا دلامة؟ قال: بشر حال يا أمير المؤمنين. قال: كيف ذلك؟ ويلك! قال: وما ظنك يا أمير المؤمنين بمن أصبح وجهه في وسطه، وسيفه في أسته، وقد نبذ كتاب الله عز وجل وراء ظهره. قال: فضحك أبو جعفر، وأمر بتغيير ذلك، وأمر لأبي دلامة بصلة [2].

## لكن والله لأتركن في مرضاتك الدُّنيا والآخرة:

محمد بن يزيد قال: أكل قائدٌ لأبي جعفر المنصور معه يوماً، وكان على المائدة محمدٌ المهديّ وصالحٌ ابناه، فبينا الرجلُ يأكل من ثَريدة بين أيديهم إذ سَقط بعضُ الطعام من فيه في الغَضَّارة، وكأن المهديّ وأخاه عافَا الأكل معه، فأخذ أبو جعفر الطّعام الذي سَقط من فم الرجل فأكله. فالتفتَ إليه الرجلُ، فقال: يا أميرَ المؤمنين أمّا الدُّنيا فهي أقلُّ وأيسر من أن أتركها لك، لكن والله لأتركن في مرضاتك الدُّنيا والآخرة[3].

## فأَحِب منك أن تُعَلِّمَنيه:

قال أبو الحسن المدائنيّ: لما حَجّ أبو جَعْفر المنصور مَر بالمدينة فقال للرَّبيع: عليَّ بجعفر بن مُحمد، قتلني الله إن لم أقتله. فمُطِل به، ثم ألَحَ فيه، فحَضر. فلما كُشِف السِّتْر بينه وبينه ومَثُل بين يدَيْه، هَمَس جعفر بشَفَتيه، ثم تقَرَب وسلّم؛ فقال: لا سلّم اللهّ عليك يا عدو الله، تُعْمِل على الغوائلَ في مُلْكِي، قَتلَني الله إن لم أقتُلك. فقال له جعفر: يا أمير المؤمنين، إن سُليمان صلى الله عليه وسلم أعْطِيَ فشكر، وإن أيوب ابتليَ فَصَبَر، وإن يوسف

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 72/1.
(2) المصدر السابق، 74/1.
(3) المصدر السابق، 241/1.

ظُلِم فَغَفَر، وأنت على إرْثٍ منهم وأحَقُّ من تأسَّى بهم، فنكس أبو جعفر رأسه مَليًّا ثم رفع إليه رأسه وقال: إلي يا أبا عبد الله، فأنتَ القريبُ القرابة، وإنك ذو الرَّحم الواشِجة، السَّليم الناحية، القَليل الغائلة، ثم صافحه بيَمينه وعانقه بِيَساره وأجْلسه معه على فِراشه وانحرف له عن بَعْضه وأقْبل عليه بوَجْهه يُسائله ويُحادثه، ثم قال: عجلوا لأبي عبد الله إذنه وكُسْوته وجائزته. قال الرّبيع: فلما خرج وأسْدل الستر أمسكتُ بثَوْبِه فارتاع، وقال: ما أرانا يا ربيع إلا قد حُبِسنا؟ قلتُ: هذه منّي لا مِنْه؛ قال: فذلك أيْسر، قلْ حاجتَك؟ قلت: إنّي منذ ثلاثٍ أدافع عنك وأدَاري عليك، ورأيتُك إذ دخلتَ هَمَسْت بِشَفَتيك، ثم رأيتُ الأمرَ انجلى عنك، وأنا خادم سُلطان ولا غِنى بي عنه، فأَحِب منك أن تُعَلِّمَنيه؛ قال: نعم، قُل: اللهم احرسني بعَيْنك التي لا تنام، واكنُفْني بكنَفَك الذي لا يُرام، ولا أهْلِك وأنت رجائي، فكم من نِعمة أنْعَمْتها عليّ قَلّ عندها شكْري فلمِ تَحْرِمْني، وكم من بليَّة ابتليتني بها قلّ عندها صبري فلم تَخْذُلْني، اللهم بك أدْرأ في نحْره، وأعوذ بخيْرك من شرّه[1].

## بيت يلعب به الصبيان:

سأل أبو جعفر المنصور أبا دلامة فقال: أي بيت قالته العرب أشعر؟ قال: بيت يلعب به الصبيان، قال: وما هو ذلك؟ قال: قول الشاعر:

**ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا :: وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل**[2]

## احتيال المنصور:

قال أبو بديل بن حبيب: كنا إذا خرجنا من عند أبي جعفر المنصور صرنا إلى المهدي وهو يومئذٍ ولي عهد، ففعلنا ذلك يوماً فأبرز لي المنصور يده فانكببت عليها فقبلتها، فضرب يدي بيده، فعلمت أنه لم يفعل ذلك إلا لشيء في يده، فوضع في يدي كتاباً صغيراً تستره الكف، فلما خرجت قرأت الكتاب فإذا فيه: إذا قرأت كتابي هذا فاستأذن إلى ضياعك بالري، فرجعت فاستأذنت فقلت: يا أمير المؤمنين ضياعي بالري قد اختلت ولي حاجة إلى مطالعتها. فقال: لا ولا كرامة، فخرجت ثم عدت

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 338/1.
(2) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، 115/1.

إليه اليوم الثاني فكلمته، فردّ عليّ مثل الجواب الأول، فقلت: يا أمير المؤمنين إنما أردت صلاحها لأقوى بها على خدمتك، فقال: إذا شئت، فقلت: يا أمير المؤمنين فلي حاجة أذكرها. قال: قلت: أحتاج إلى خلوة، فنهض القوم وبقي الربيع، فقلت أحلني، قال: ومن الربيع؟ قلت نعم، فتنحى الربيع فقال: إن جدت لي بدمك ومالك، فقلت: يا أمير المؤمنين وهل أنا ومالي إلا من نعمتك؟ حقنت دمي ورددت علي مالي وآثرتني بصحبتك، فقال: إنه يهجس في نفسي أن المرار بن جهور على خلعي وليس لي غيرك لما أعرف بينكما فاظهر إذا صرت إليه الوقيعة فيّ والتنقّص لي حتى تعرف ما عنده فإذا رأيته يهمّ بخلعي فاكتب إليّ ولا تكتبن على بريد ولا مع رسول ولا يفوتني خبرك في كل يوم فقد نصبت لك فلاناً القطان في دار القطن فهو يوصل كتبك، قال: فمضيت حتى أتيت الري فدخلت على مرّار فقال: أفلتّ؟ قلت: نعم والحمد لله، ثم أقبلت أؤنسه بالوقيعة في المنصور حتى أظهر ما كان المنصور ظن به، فكتبت إليه بذلك، فلما وصلت منه إلى ما أردت أتيت ضياعي ثم رجعت إليه بعد أيام، فقال: نجّاك الله من الفاجر؟ قلت: نعم، وأرجو أن تقع عينه عليّ أبداً، فكنت أعرّض به فيزيدني مما عنده، ثم قال لي: هل لك أن تخرج إلى متنزه طيب؟ قلت: نعم، فخرجت أنا وهو نتساير حتى صرنا إلى موضع مشرف قد بنيت له عليه قبة، فأحدّ النظر إلى ما هناك ثم قال: يا أبا بديل أترى الفاجر يظن أني أعطيه طاعة أبداً ما عشت؟ اشهد أني قد خلعته كما خلعت خفّي هذا من رجلي! قال: فرجعت إلى منزلي وأنا في كل يوم أكتب بخبره، قال: وقد كنت أعددت تسعة فرسان من بني يربوع ورجلاً من بني أسد فواطأتهم أن نبطش به وكتبت إلى المصمغان أن يأتيه في جنده إلى الموضع الذي اتفقنا عليه، قال: وأخذ المرّار الدواء في ذلك اليوم، وسبق إليه الأسدي بالخبر وقال: احذر فقد اتخذ لك كيت وكيت، قال: فدخلت عليه فإذا هو على كرسي، فعرفت الشر في وجهه والمنكر في نظره، فقال: هيه يا أبا بديل مع إكرامي لك أردت أن تقتلني؟ قال فتضاحكت وقلت: بلغ من مكره أن دس إليك هذا الأسدي، لقد علمت فيك حيلته! ثم حرّكه بطنه فقام إلى الخلاء وقال: لا ترم، فلما ولى وثبت وخرجت مسرعاً، فقال الحاجب:

أسرعت. قلت: نعم في حاجة للأمير، وركبت فرسي فرأيت القوم قد وافوا كلهم إلا الأسدي، فعلمت أنه صاحبي، فلما خرج سأل عني فأخبر بمضييّ، فوجّه خيلاً في طلبي، فمال اليربوعيون فدفعهم، ومضيت حتى صرت إلى المصمغان وكتبت إلى أبي جعفر المنصور كتاباً مكشوفاً، فكتب: إني قد عرفت ما وصفته وقد صح الأمر، ثم كتب إلى خازم بن خزيمة فصار إليه حتى أخذه[1].

## ما تصنيعن بهذا؟

قال عليّ بن بريهة الهاشمي: قال صاحب عذاب أبي جعفر: دعاني أبو جعفر المنصور ذات يوم وإذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بأنواع العذاب وهو يقول لها: ويلك اصدقيني فوالله ما أريد إلا الألفة ولئن صدقتني لأصلن الرحم ولأتابعن البرّ إليه، وإذا هو يسائلها عن محمد بن عبد الله [2] وهي تقول: ما أعرف مكانه، ودعا بالدَّهق [3] وأمر به فوضع عليها فلما كادت نفسها أن تتلف قال: امسكوا عنها، وكره ما رأى وقال لأصحاب العذاب: ما دواء مثلها إذا صار إلى مثل حالها؟ قالوا: الطيب تشمه والماء البارد يصب على وجهها وتسقى السويق، فأمر لها بذلك وعالج بعضه بيده وقال لأصحاب العذاب: ألا أعلمتموني بما ينالها فأكف عنها؟ قالوا: قد علمنا أنها لا تقوى على هذا ولكنا هبناك، فما زالوا يردون عليها نفسها حتى أفاقت، وأعاد عليها المسألة فأبت إلا الجحود، فقال لها: أتعرفين فلانة الحجامة؟ فاسود وجهها وتغيرت، فقالت: نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم، قال: صدقت، هي والله أمتي ابتعتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها، أمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف أخباركم، ثم قال: أوتعرفين فلاناً البقال؟ قالت: نعم هو في بني فلان، قال: هو والله مضاربي بخمسة دنانير أمرته أن يبتاع بها كل ما يحتاج إليه من البيوع فأخبرني أن أمةً لكم يوم كذا وكذا من شهر كذا صلاة المغرب جاءت تسأله حناء وورقاً، فقال لها: ما

(1) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 71.
(2) وكان قد خرج عليه.
(3) من أدوات التعذيب في السجون العباسية.

تصنيعن بهذا؟ فقالت: كان محمد بن عبد الله في بعض ضياعه بناحية البقيع وهو يدخل الليلة فأردنا هذا لتتخذ منه النساء ما يحتجن إليه عند دخول أزواجهن من المغيب، فأسقط في يدها وأذعنت بكل ما أراد.

## فالحمد لله الذي جعل منايانا جهاداً ولم يجعلها مهاداً:

قيل: وإن أبا جعفر كتب في حمل عبد الله بن الحسن وأهل بيته من المدينة إلى حضرته، فلما أُخرجوا كثر عليهم البكاء، فقال عبد الله: أفيقوا من البكاء وأوغلوا في الدعاء، فإني أشهد الله على ما أردت من إحياء الحق وإماتة الباطل، فجرى القدر بما جرى، فجدي الحسن والحسين قتلا بسم وسيف، فالحمد لله الذي جعل منايانا جهاداً ولم يجعلها مهاداً [1].

## إني شهدت تسعة عساكر كلها هزمت:

حدثني أبو مالك عبد الله بن محمد قال: لما توفي أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على أبي جعفر المنصور والناس عنده يعزونه فقال: يا أمير المؤمنين كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض فلم أقبضها. فقال المنصور للخازن: ادفعها إليه وسيره إلى هذا الطاغية، يعني عبد الله بن عليّ. فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن أخرج معهم فإني والله مشؤوم! فقال: لعله يغلب شؤمك فاخرج مع العسكر. فقال: والله ما أحب لك يا أمير المؤمنين أن تجرّب ذلك فإني لا أدري على أي الفريقين يكون.

فقال أبو جعفر: دعني من هذا ما نريد غير المسير. فقال: يا أمير المؤمنين والله لأصدقنك، إني شهدت تسعة عساكر كلها هزمت فأنا أعيذك بالله أن تكون العاشر. فاستفرغ أبو جعفر ضحكاً وأمره أن يتخلف[2].

(1) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 72.
(2) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، 209/1.

## هكذا ينبغي أن تكون نساؤهم:

حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عثمان بن عبد الرحمن، قال: عرضت عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث المخزومية أم أدريس وسليمان وعيسى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام لأبي جعفر المنصور وقد وافى حاجاً، فصاحت يا أمير المؤمنين احمل عني كلك أو أعني على حمله لك معي بنو عبد الله بن الحسن صبية صغار لا مال لهم، وأنا امرأة لست بذات مال، فأناشدك الله أن نفارق احتمال ما يلزمك احتماله منهم عوناً لهم إلى أطراحهم فإني خائفة عليهم إن فعلت أن يضيعوا فقال: يا ربيع، من هذه؟ فنسبها له، فقال: هكذا ينبغي أن تكون نساؤهم، وأمر برد ضياع أبيهم وأمر لها بألف دينار[1].

## لا تغضب لله بما يغضب الله:

شهد سوَّار القاضي مجلس أبي جعفر المنصور يوماً فرآه قد غضب على أهل البصرة، فقال له: يا أمير المؤمنين! لا تغضب لله بما يغضب الله[2].

## عظني وأوجز:

قال شبيب بن شيبة: قال لي أبو جعفر المنصور - وكنت من سماره - عظني وأوجز. قال: فقلت يا أمير المؤمنين! إن الله لم يجعل فوقك أحداً من خلقه؛ فلا ترض من نفسك بأن يكون عبد هو أشكر منك. قال: والله لقد أوجزت وما قصرت. قلت: والله لئن كنت قصرت فما بلغت كنه النعمة فيك[3].

## أبو جعفر المنصور والربيع:

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة: دعا المنصور بالربيع فقال: سلني ما تريد. فقد سكت حتى نطقت وخففت حتى ثقلت وقللت حتى أكثرت، فقال والله يا أمير المؤمنين: ما أرهب بخلك، ولا أستقصر عمرك، ولا أستصغر

(1) ابن طيفور، بلاغات النساء، 65/1.
(2) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 81/1.
(3) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 227/1.

فضلك، ولا أغتنم مالك، وإن يومى بفضلك على أحسن من أمسى، وغدك في تأميلى أحسن من يومي، ولو جاز أن يشكرك مثلي بغير الخدمة والمناصحة لما سبقني لذلك أحد. قال: صدقت علمي بهذا منك أحلك هذا المحل، فسلني ما شئت قال: أسألك أن تقرب عبدك الفضل وتؤثره وتحبه، قال: يا ربيع، إن الحب ليس بمال يوهب، ولا رتبة تبذل، وإنما تؤكده الأسباب.قال: فاجعل لى طريقا إليه بالتفضل عليه، قال: صدقت، وقد وصلته بألف درهم، ولم أصل بها أحدا غير عمومتى لتعلم ماله عندى فيكون منه ما يستدعى به محبتى، قال: فكيف سألت له المحبة يا ربيع؟ قال: لأنها مفتاح كل خير، ومغلاق كل شر تستر بها عندك عيوبه وتصير حسنات ذنوبه قال صدقت [1].

## فاحذر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده:

دخل عمرو بن عبيد على المنصور بعد ما بايع للمهدى فقال له: يا أبا عثمان، هذا ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فقال له عمرو: يا أمير المؤمنين، أراك قد وطدت له الأمور وهي تصير إليه، وأنت عنه مسؤول فاستعبر المنصور، وقال له: عظني يا عمرو، قال: يا أمير المؤمنين إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منها ببعضها، وإن هذا الذي في يديك لو بقى في يد غيرك لم يصل إليك فاحذر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده فوجم أبو جعفر من قوله فقال له الربيع، يا عمرو غممت أمير المؤمنين، فقال عمرو: إن هذا صحبك عشرين سنة لم ير لك عليه أن ينصحك يوما واحدا وما عمل وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه قال أبو جعفر: فما أصنع قد قلت لك خاتمى في يدك فتعال وأصحابك فاكفنى، قال عمرو: ادعنا بعدلك تسخ أنفسنا بعونك ببابك ألف مظلمة اردد منها شيئا نعلم أنك صادق [2].

## فكيف من سفك دماءهم وشقق أبشارهم وأنهب أموالهم:

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، 3 /37.
(2) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، 3 /45.

قال الأوزاعى: دخلت على المنصور فقال لي: ما الذى بطأ بك عنى؟ قلت: يا أمير المؤمنين، وما الذى تريد منى؟ فقال: الاقتباس منك. قلت: انظر ما تقول فإن مكحولا حدثنى عن عطية بن بشير: أن رسول الله قال: من بلغه عن الله نصيحة في دينه فهى رحمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها من الله بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد إثما وليزداد عليه غضبا، وإن بلغه شيء من الحق فرضى فله الرضا وإن سخط فله السخط، ومن كرهه فقد كره الله، لأن الله هو الحق المبين فلا تجهلن، قال: وكيف أجهل؟ قال: تسمع ولا تعمل بما تسمع. قال الأوزاعى: فسل على الربيع السيف وقال: تقول لأمير المؤمنين هذا فانتهره المنصور وقال: أمسك. ثم كلمه الأوزاعى وكان في كلامه أن قال: إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذى أصبحت به، والله سائلك عن صغيرها وكبيرها، وفتيلها ونقيرها، ولقد حدثنى عروة بن رويم أن رسول الله قال: **ما من راع يبيت غاشا لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة الجنة** - فحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظرا ولما استطاع من عوراتهم ساترا وبالقسط فيما بينهم قائما لا يتخوف محسنهم منه رهقا ولا مسيئهم عدوانا فقد كانت بيد رسول الله جريدة يستاك بها ويردع عنه المنافقين، فأتاه جبريل فقال: يا محمد ما هذه الجريدة بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا، فكيف من سفك دماءهم وشقق أبشارهم، وأنهب أموالهم

يا أمير المؤمنين، إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابيا لم يتعمده، فهبط جبريل فقال: يا محمد، إن الله لم يبعثك جبارا تكسر قرون أمتك، واعلم أن كل ما فى يدك لا يعدل شربة من شراب الجنة، ولا ثمره من ثمارها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **لقاب قوس أحدكم من الجنة أو قذة خير له من الدنيا بأسرها** - إن الدنيا تنقطع ويزول نعيمها ولو بقى الملك لمن قبلك لم يصل إليك يا أمير المؤمنين، ولو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لآذاهم فكيف من يتقمصه، ولو أن ذنوبا من صديد أهل النار صب على ماء الأرض لآجنه، فكيف بمن يتجرعه، ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب، فكيف من سلك فيها ويرد فضلها

على عاتقه، وقد قال عمر بن الخطاب: لا يقوم أمر الناس إلا حصيف العقدة بعيد الغرة لا يطلع الناس منه على عورة ولا يحنق في الحق على جرة، ولا تأخذه في الله لومة لائم، واعلم أن السلطان أربعة: أمير يظلف نفسه وعماله، فذلك له أجر المجاهد في سبيل الله، وصلاته سبعون ألف صلاة، ويد الله بالرحمة على رأسه ترفرف.

وأمير رتع ورتع عماله فذاك يحمل أثقاله وأثقالا مع أثقاله.

وأمير يظلف نفسه ويرتع عماله فذاك الذى باع آخرته بدنيا غيره.

وأمير يرتع ويظلف عماله فذاك شر الأكياس.

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد ابتليت بأمر عظيم عرض على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنه وأشفقن منه، وقد جاء عن جدك في تفسير قول الله عز وجل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها أن الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك وقال: فما ظنكم بالكلام، وما عملته الأيدى، فأعيذك بالله أن يخيل إليك أن قرابتك برسول الله تنفع مع المخالفة لأمره فقد قال رسول الله : **يا صفية عمة محمد، ويا فاطمة بنت محمد استوهبا أنفسكما من الله إنى لا أغني عنكما من الله شيئا** - وكان جدك الأكبر سأل رسول الله إمارة فقال: أي عم نفس تحييها خير لك من إمارة لا تحصيها نظرا لعمه وشفقة عليه أن يلي، فيجور عن سنته جناح بعوضة، فلا يستطيع له نفعا ولا عنه دفعا هذه نصيحتى إن قبلتها فلنفسك عملت، وإن رددتها فنفسك نحست، والله الموفق للخير والمعين عليه، قال: بلى نقبلها ونشكر عليها وبالله نستعين [1].

## لا يعز ملك يكون فيه مثل هذا:

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، 3 /48.

ويروى أن يزيد بن عمر بن هبيرة للمنصور دخل يوما فقال له المنصور: حدثنا، فقال: يا أمير المؤمنين إن سلطانكم حديث، وإمارتكم جديدة فأذيقوا الناس حلاوة عدلها، وجنبوهم مرارة جورها، فوالله يا أمير المؤمنين لقد محضت لك النصيحة ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس فأتأره المنصور بصره، ثم قال: لا يعز ملك يكون فيه مثل هذا [1].

## ذلك إليك يا أمير المؤمنين:

ودخل معن بن زائدة الشيباني على أبى جعفر المنصور، وقد أسن فقارب في خطوه فقال له المنصور: لقد كبرت سنك يا معن. قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين. قال: وإنك لجلد، قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين. قال: وإن فيك لبقية؟ قال: هي لك يا أمير المؤمنين. قال: فأي الدولتين أحب إليك هذه أم دولة بني أمية؟ قال: ذلك إليك يا أمير المؤمنين إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إلي [2].

## لماذا خلق الله الذباب؟

حدث يحيى بن معاذ أن أبا جعفر المنصور كان جالساً، فألح على وجهه ذباب حتى أضجره، فقال: انظروا من بالباب فقالوا: مقاتل بن سليمان فقال: علي به، فلما دخل عليه، قال له: هل تعلم لماذا خلق الله الذباب؟ قال: نعم. ليذل به الجبابرة، فسكت المنصور[3].

## وأراك تفعل ما تقول:

قال المدايني: لما حج المنصور قال للربيع: ابغني فتًى من أهل المدينة أديباً ظريفاً عالماً بقديم ديارها ورسوم آثارها فقد بعد عهدي بديار قومي وأريد الوقوف عليها. فالتمس له الربيع فتى أعلم الناس بالمدينة وأفهمهم بظريف الأخبار وشريف الأشعار فعجب به المنصور وكان يسايره أحسن مسايرة ويحاضره أزين محاضرة ولا يبتدئه بخطاب إلا على وجه الجواب فإذا سأله أتى بأوضح دلالة وأفصح مقالة. فأعجب به المنصور غاية

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، 3 /51.
(2) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، 3 /53.
(3) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، 358/1.

الإعجاب وقال للربيع: ادفع إليه عشرة آلاف درهم وكان الفتى مملقاً مضطراً فتشاغل الربيع عن القضاء واضطرته الحاجة إلى الاقتضاء وقيل قال له الربيع: لا بد من معاودته وإن أحببت دفعت إليك سلفاً من عندي حتى أعاوده فيما أمر لك.

فأبقى ذلك حتى إذا كان في بعض الليالي قال عند منصرفه مبتدئاً: وهذه الدار يا أمير المؤمنين يا بيت عاتكة الذي أتعزل ثم سكت فأنكر المنصور هذا من حاله وفكر فيأمره فعرض الشعر على نفسه فإذا فيه:

**وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ⁝ مذق الحديث يقول ما لا يفعل**

فقال للربيع: أدفعت للرجل ما أمرنا له به قال: لا يا أمير المؤمنين. قال: فليدفع إليه مضاعفاً.

وهذا أحسن إفهام من الفتى وأحسن فهم من المنصور. ولم يسمع في التعريض بألطف منه [1].

## إذاً لا تأتينا أبداً:

ودخل عمرو بن عبيد على أبي جعفر المنصور، فقال: عِظْني، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَ الله أعطاكَ الدنيا بأسْرِها، فاشْتَرِ نفسَك منه ببعضها؛ يا أميرَ المؤمنين، إن هذا الأمرَ لو كان باقياً لأحَدٍ قبلَك ما وصل إليك،{ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ} [الفجر: ٦ - ٧]، قال: فبكى المنصور حتى بَل ثوبه. ثم قال: حاجتَك يا أبا عثمان وكان المنصور لَمَّا دخل عليه طرَح عليه طَيْلَساناً، فقال: يُرْفَعُ هذا الطيلسان عني فرُفع، فقال أبو جعفر: لا تَدَعْ إتياننا؛ قال: نعم، لا يضمُني وإياك بلد إلاّ دخلتُ إليك، ولا بَدَتْ لي حاجة إلاَ سألتُكَ، ولكن لا تُعْطِني حتى أسألك، ولا تَدْعُني حتى آتيك، قال: إذاً لا تأتينا أبداً [2]

(1) عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق محمد نبيل طريفي/إميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، 46/2، 47.
(2) عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، 106/1.

## فانظرْ على أي حالة تنقضي:

وقال رجل لأبي جعفر المنصور: أيْنَ ما تُحُدِّثَ به في أيام بني أمية؟ إن الخلافة إذا لم تقابل بإنصاف المظلومين، ولم تعامل بالعدل في الرعية، وقسمة الفيء بالسويَّة، صار عاقبةُ أمرها بَوارا، وحاقَ بِوُلاَتها سوءُ العذاب.

قال: فتنفس ثم قال: قد كان ما تقولُ، ولكنا يا أخي استعجَلْنا الفانية على الباقية، وكأن قد انْقَضَتْ هذه الدار. فقال له الرجل: فانظرْ على أي حالة تنقضي.[1]

## إذا سقط البيت على عمي فما ذنبي:

ولما خرج أبو جعفر المنصور يريد الحج بالناس قال لعيسى بن موسى الهادي: أنت تعلم أن الخلافة صائرة إليك وأريد أن أسلم لك عمي وعمك عبد الله بن علي فخذه وأقتله وإياك أن تجبن في أمره ثم مضى المنصور إلى الحج وكتب إليه من الطريق يستحثه على ذلك فكتب إليه قد أنفذت أمر أمير المؤمنين وكان الأمر بخلاف ذلك فلم يشك أبو جعفر أنه قتله ودعا عيسى بن موسى كاتبه يونس فقال له: إن المنصور دفع إلي عمه وأمرني بقتله فقال له يريد: أن يقتلك به، فإنه أمرك بذلك سرًّا ويدعي به عليك علانية والرأي أن تستره في منزلك، ولا تطلع عليه أحداً فإن طلبه منك علانية دفعته إليه علانية ولا تدفعه إليه سرًّا أبداً ففعل ذلك: وقدم المنصور فدس على عمومته من يحركهم أن يسألوا المنصور أن يهب لهم أخاهم عبد الله ففعلوا ذلك وكلموه فأجاب وقال: نعم علي بعيسى بن موسى فأتاه فقال: يا عيسى كنت دفعت إليك عمي وعمك عبد الله قبل خروجي إلى الحج وأمرتك أن يكون في منزلك مكرما قال: قد فعلت ذلك قال: قد كلمني فيه عمومتك فرأيت الصفح، عنه فائتني به قال: يا أمير المؤمنين ألم تأمرني؟ بقتله قال: لا، بل أمرتك بحبسه عندك، ثم قال المنصور لعمومته:

(1) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الأداب وثمر الألباب، تحقيق: أ. د / يوسف على طويل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى 1417 هـ - 1997م، 398/2.

إن هذا قد أقر لكم بقتل أخيكم وأدعى أني أمرته بذلك، وقد كذب. قالوا: فدعه إليه نقتله قال شأنك فأخرجوه إلى صحن الدار، واجتمع الناس واشتهر الأمر فقام أحدهم وشهر سيفه وتقدم إلى عيسى ليضربه فقال عيسى: لا تعجلوا فإن عمي حي ردوني إلى أمير المؤمنين، فردوه إليه فقال: يا أمير المؤمنين، إنما أردت بقتله قتلي هذا عمك حيا إن أمرتني بدفعه إليهم دفعته قال: ائتنا به، فأتى به، فجعله في بيت فسقط عليه فمات، وكان المنصور قد وضع في أساس البيت ملحاً لما شرع في عمارته وأعده لهذا المعنى، ولما جلس فيه عمه أجرى الماء في أساس البيت سرّاً بحيث لا يشعر به أحد، فذاب المليح وسقط البيت وركب المنصور بعد موت عمه وفي خدمته عباس ابن المتوفى وكان يباسطه في كل وقت فقال له المنصور وهو يحادثه: هل تعرف ثلاثة في أول أسمائهم عين؟ قال: لا أعرف إلا ما تقول العامة يا أمير المؤمنين، إن عليا قتل عثمان وكذبوا والله، وعبد الملك بن مروان قتل عبد الله بن الزبير، وسقط البيت على عم أمير المؤمنين، قال: فضحك المنصور، وقال: إذا سقط البيت على عمي فما ذنبي؟ قال: قلت ما لك ذنب يا أمير المؤمنين. وقتل عبد الله كان بسبب البيعة التي تقدمت له مع السفاح[1]

وحدّث عن أبي ثوابة عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه، قال: تكلم أبو جعفر المنصور في مجلس فيه أعرابي فلحن فصر الأعرابي أذنيه، فلحن مرة أخرى أعظم من الأولى، فقال الأعرابي: أف لهذا، ما هذا؟. ثم تكلم فلحن الثالثة، فقال الأعرابي: أشهد لقد وليت هذا الأمر بقضاء وقدر [2]

(1) تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي الحموي المعروف بابن حجة، طيب المذاق من ثمرات الأوراق، تحقيق: أبو عمار السخاوي، دار الفتح - الشارقة - 1997م،ص 54 - 55.

(2) طيب المذاق من ثمرات الأوراق، ص 54 ، 55.

## ما كان أهون هذا القرشي على أهله:

وحدث بإسناد رفعه إلى الواقدي قال: صلى رجل من آل الزبير، خلف أبي جعفر المنصور وقرأ،{ﮋ ﮌ ﮍ} [التكاثر: ١]. فلحن في موضعين قال: فلما سلم التفت الزبيري إلى رجل كان إلى جانبه فقال: ما كان أهون هذا القرشي على أهله[1]

## أترغب عما نحن فيه؟

دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة إلى القضاء. فأبى، فحبسه، ثم دعا به، فقال له: أترغب عما نحن فيه؟ فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، لا أصلح للقضاء. فقال: كذبت. فقال أبو حنيفة: قد حكم عليّ أمير المؤمنين أني لا أصلح للقضاء، لأنه نسبني إلى الكذب، فإن كنت كاذباً فأنا لا أصلح، وإن كنت صادقاً، فإني قد صدقت عن نفسي أني لا أصلح. فرده إلى الحبس[2]

## ولكن الشياطين كفروا:

لما ولى أبو جعفر المنصور سليمان بن راشد الموصل، ضم إليه ألف رجل من أهل خراسان وقال: قد ضممت إليك ألف شيطان. فلما دخل الموصل عاثوا، وبلغ الخبر المنصور فكتب إليه: يا سليمان، كفرت بالنعمة. فكتب في جوابه: {ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ} [البقرة: ١٠٢][3].

## تقطعني لحيتي أعمل بها ما أريد:

قال المنصور يوماً لعبد الله بن عياش المنتوف: قد بغضت إليّ صورتك عشرتك، وحلفت بالله لئن نتفت شعرة من لحيتك لأقطعن يدك. فأعفاها حتى اتصلت، فكان عنده يوماً وحدثه بأحاديث استحسنها، فقال له: سل حاجتك. فقال: نعم يا أمير المؤمنين، تقطعني لحيتي أعمل بها ما أريد.

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 4/1.
(2) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى 1424 هـ - 2004 م، 121/2.
(3) الآبي، نثر الدر، 136/2.

فضحك المنصور وقال له: قد فعلت [1]

## لأنك لم تعرف حلاوة الآباء:

دخل شاب من بني هاشم على المنصور، فسأله عن وفاة أبيه، فقال: مرض رضي الله عنه يوم كذا، ومات رحمه الله يوم كذا، وترك رضي الله عنه من المال كذا؛ فانتهره الربيع وقال: بين يدي أمير المؤمنين توالى الدعاء لأبيك فقال الشاب له: لا ألومك؛ لأنك لم تعرف حلاوة الآباء. قال: فما علمنا أن المنصور ضحك في مجلسه قط ضحكاً افترّ عن نواجذه إلا يومئذ [2].

## ما مالك؟

قال المنصور لرجل: ما مالك؟ قال: ما يكف وجهي، ويعجز عن الصديق. قال له: لطفت في المسألة.

## إن غضب العربي في رأسه:

قال المدائني: ورد على المنصور كتاب من مولى له بالبصرة أن سالماً ضربه بالسياط، فاستشاط غضباً وقال: أعليّ يجترئ سالم؟ والله لأجعلنه نكالاً يتعظ به غيره. فأطرق جلساؤه جميعاً، فرفع ابن عياش رأسه، وكان أجرأهم عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأينا من غضبك على سالم ما شغل قلوبنا، وإن سالماً لم يضرب مولاك بقوته ولا قوة أبيه، ولكنك قلدته سيفك، وأصعدته منبرك، فأراد مولاك أن يطامن منه ما رفعت، ويفسد ما صنعت، فلم يحتمل له ذلك. يا أمير المؤمنين، إن غضب العربي في رأسه، فإذا غضب لم يهدأ حتى يخرجه بلسان أو يد، وإن غضب النبطي في استه، فإذا خري ذهب عنه غضبه. فضحك المنصور، وكف عن سالم.

(1) الآبي، نثر الدر،109/2.
(2) الآبي، نثر الدر،116/2.

## فتفسد علي مكيدتي:

قيل: خلا المنصور مع يزيد بن أسيد، فقال: يا يزيد ما ترى في قتل أبي مسلم؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين أن تقتله، وتتقرب إلى الله بدمه، فوالله لا يصفو ملكك، ولا تهنأ بعيشٍ ما بقي بك عدوك. قال يزيد: فنفر مني نفرة ظننت أنه سيأتي علي، ثم قال: قطع الله لسانك وأشمت بك عدوك، أتشير علي بقتل أنصح الناس لنا، وأثقلهم على عدونا؟ أما والله لولا حفظي ما سلف منك، وأني أعدها هفوة من رأيك لضربت عنقك، قم لا أقام الله رجليك قال يزيد: فقمت وقد أظلم بصري، وتمنيت أن تسيخ الأرض بي. فلما كان بعد قتله بدهر قال لي: يا يزيد، أتذكر يوم شاورتك في أمر العبد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، وما رأيتني قط ادنى إلى الموت مني يومئذ قال: فوالله لكان ذلك رأيي وما لا أشك فيه، ولكني خشيت أن يظهر ذلك منك، فتفسد علي مكيدتي.

## أبأهل البصرة تهددني؟

استأذن سوار قاضي البصرة على المنصور، فأذن له، فدخل وسلم، فقال المنصور: وعليك السلام. أدن أبا عبد الله، فقال: يا أمير المؤمنين، أأدنوا على ما مضى عليه الناس أم على ما أحدثوا؟ فقال: بل على ما مضى عليه الناس، فدنا فصافحه ثم جلس، فقال المنصور: يا أبا عبد الله، قد عزمت على أن أدعو أهل البصرة بسجلاتهم، وأشريتهم، فقال: يا أمير المؤمنين، نشدتك الله ألا تعرض لأهل البصرة. فقال: يا سوار، أبأهل البصرة تهددني؟ والله لهممت أن أوجه إليهم من يأخذ بأفواه سككهم وطرقهم، ويضع السيف فيهم فلا يرفعه عنهم حتى يفنيهم، فقال: يا أمير المؤمنين، ذهبت إلى غير ما ذهبت إليه، إنما كرهت لك أن تتعرض لدعاء الأرملة واليتيم، والشيخ الكبير الفاني، والحدث الضعيف. فقال: يا أبا عبد الله، أنا للأرملة بعل، ولليتيم أب، وللشيخ أخ، وللحدث الضعيف عم، وإنما أريد أن أنظر في سجلاتهم وأشريتهم لأستخرج ما في أيدي الأغنياء، مما أخذوه بقوتهم وجاههم من حقوق الضعفاء والفقراء. فقال: وفقك الله للخير،

وأرشدك لما يحب ويرضى[1]

## لا أكثر الله في عشيرتك مثلك:

قال السري بن عبد الله: إني لبمكة مع أبي جعفر المنصور والناس يذكرون معناً، وإراقته الدماء باليمن، فقلت: يا أمير المؤمنين غلامٌ من غلمان بني شيبان، ماله عندك يد تأصرك عليه، ولا رحم يعطفك عليه، قال: فبسر في وهي بسرةً تمنيت أن الأرض انشقت لي فدخلت فيها. قال: فمكثت أياماً ثم أتيته، فسألني عن تخلفي، فاعتذرت إليه، فقال لي: أتعرف رجلاً كان يصلي عن يمين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأخبرته به، ونسبته إلى عثمان، فقال: ما فعل؟ قلت: قتل بقديد. قال: فآخر كان يصلي قريباً منه؟ قلت: نعم، ذاك ابن أخيه. قال: فما فعل؟ قلت: قتل يوم قديد. قال: فآخر كان يصلي في موضع كذا؟ قلت: نعم. ونسبته إلى الزبير. قال: فما فعل؟ قلت: قتل يوم قديد، فما زال يقترع المجالس يذكر فيها رجلاً قريعاً، ويسألني عنه، فأقول: قتل يوم قديد، فقال لي: لا أكثر الله في عشيرتك مثلك. عجزت عن ثأرك أن تطلب به، حتى إذا قام هذا الغلام الشيباني، فإذا بك تنفس عليه الرفعة[2]

## أنت أيسر العرب:

قال المنصور للوضين بن عطاء: ما عيالك؟. قال: ثلاث بناتٍ والمرأة. قال؛ فقال: أربعٌ في بيتك. قال: فردد ذلك حتى ظننت أنه سيصلني. قال: ثم رفع رأسه؛ فقال أنت أيسر العرب، أربعة مغازل تدور في بيتك[3]

(1) نثر الدر،3 /58.
(2) نثر الدر،3 /58.
(3) نثر الدر،197/3.

## لا تنفق هذا المال واحتفظ به:

أعطى المنصور بعضهم شيئاً ثم ندم؛ فقال له: لا تنفق هذا المال واحتفظ به؛ وجعل يكرر عليه ذلك؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت فاختمه حتى ألقاك به يوم القيامة؛ فضحك وخلاه [1].

## أعطه نصف درهم:

قال أبو سهل الرازي القاضي: دخلت على يحيى بن أكثم يوماً، والمائدة بين يديه، والغلام واقف؛ فقال لي: يا محمد، هذا غلامي، يأتي علي وقتٌ لا أدري ما اسمه؛ وهذا حدا سلم الحادي بالمنصور في طريقه إلى الحج؛ فحدا يوماً بقول الشاعر: أغر بين حاجبيه نوره... يزينه حياؤه وخيره ومسكه يشوبه كافوره. فطرب المنصور حتى ضرب برجله المحمل، ثم قال: يا ربيع؛ أعطه نصف درهم؛ فقال سلم: نصف درهمٍ يا أمير المؤمنين؟ والله لقد حدوت لهشامٍ فأمر لي بثلاثين ألف درهم؛ فقال له المنصور: ما كان له أن يعطيك ثلاثين ألف درهمٍ من بيت مال المسلمين. يا ربيع، وكل به من يستخرج منه هذا المال. قال الربيع: فما زلت أسفر بينهما حتى شرط عليه ألا يلزمه مئونةً في خروجه وقفوله، ويحدو له [2].

## هل يستقيم أمر خراسان بلا وال:

استعمل المنصور رجلاً على خراسان فأتته امرأة في حاجة فلم تر عنده غناء. فقالت: أتدري لم ولاك أمير المؤمنين؟ قال: لا. قالت: لينظر هل يستقيم أمر خراسان بلا وال[3].

(1) نثر الدر،3 /159.
(2) نثر الدر،200/3.
(3) نثر الدر،44/4.

## أفقه أهل الكوفة:

ومن نوادر الأعمش أن أبا جعفر المنصور وجه ببدرة، وأمر بأن تدفع إلى أفقه أهل الكوفة، فأتى بها أبو حنيفة وابن أبي ليلى فلم يعرضا لها وأتى الأعمش فقال للرسول: هاتها. فقال: حجتك. قال: تسأل أبا حنيفة وابن أبي ليلى عن أفقه أهل الكوفة بعدهما فإنهما يدلانك علي، فتجيز شهادتهما لي وتبطلها لأنفسهما فأتى الرجل المنصور فأخبره فقال: صدق[1].

## قد عفوت:

خرج رجل من بني سليم على المنصور فظفر به فأمر أن يضرب بالسياط. فلما أقيم بين العاقبين. قال: يا أمير المؤمنين إن عقوبتي تجل عن السياط، وعفوك يجل عن التثريب. فإما عاقبتني عقوبة مثلى وإما عفوت عفو مثلك. قال: قد عفوت. وخلاه [2].

## المنصور وابن المقفع:

لما كتب المنصور أمان عبد الله بن علي واستقصى ابن المقفع وكان كاتب

أخيه سليمان بن علي - وأكد سليمان وأخوته الإيمان والعهود على المنصور في أمانه. قال لهم المنصور: هذا لازم لي إذا وقعت عيني عليه. فلما أدخل داره تقدم حتى عدل به، ولم يره المنصور فحبس. فكتب من الحبس إلى إخوته: هذه حيلة جرت علي بكم ومنكم فاحتالوا لي فيها. ولما كتب المنصور إلى عامله بالبصرة بحبس ابن المقفع وقتله جاء عمومته وأحضروا الشهود بأن ابن المقفع دخل إلى دار الوالي ولم يخرج منها وطالبوه بالقود منه. قال المنصور: إن أنا أقدت من عاملي وقتلته ثم خرج عليكم ابن المقفع من هذا الباب، من الذي يرضى بأن أقتله بعاملي قوداً منه؟ فسكت القوم وأهدر دم ابن المقفع [3].

(1) نثر الدر،94/4.
(2) نثر الدر،100/4.
(3) نثر الدر،103/4.

## كيف رأيتَ حَدسي؟

دعا المنصورُ ابن أبي ليلى، فأَرادَهُ على القضاء، فأبى، فتوعّده إن لم يفعْل، فأبى أن يفعل، ثم إنَّ غدَاء المنصور حضرَ، فأتى فيما أتى بصحفة فيها مثالُ رأس. فقال لابن أبي ليلى: خُذ أيها الرجلُ مِن هذا. قال ابنُ أبي ليلى: فجعلتُ أضرب بيدي إلى الشيء، فإذا وضعتُه في فَمي سال، لا أحتاجُ إلى أن أمضغهُ. فلما فَرغ الرجل جعل يلحسُ الصحفةَ. فقال لي: يا محمدُ. أتدري ما كنت تأكُل؟ قلتُ: لا - والله - يا أمير المؤمنين. قال: هذا مخُّ النِّينان معقودٌ بالسكَّر الطَّبَرزَذ. وتدري بكم تقوَّم هذه الصَّحفةُ علينا؟ قلت: لا، يا أمير المؤمنين. فقال: تقومُ بثلاث مائة وبضعةَ عشر. أتدري: لِمَ ألحسُها؟ هذه صفحةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأنا أطلبُ البَركةَ بذلك. فلما خرج ابنُ ليلى من عنده رفعَ رأسَه إلى الربيع. فقال: لقد أكل الشَّيخ عندنا أكلةً لا يفلِحُ بعدها أبداً. فلما كان عَشى ذلك اليوم راح ابنُ أبي ليلَى إلى المنصور، فقال: يا أمير المؤمنين، فكرتُ فيما عرضت علي، فرأيتُ أنه لا يسَعُني خِلافُك. فولاه القضاءَ. ثم قال للربيع: كيف رأيتَ حَدسي؟[1]

## ألاَ مرةً على المؤمنين؟؟

ودخل سوَّارُ بن عبد الله علي المنصور - والمصحفُ من حجره، وعيناهُ تهملان - فقال السلام عليكم. يا أمير المؤمنين فقال: يا سوَّارُ، ألاَ مرةً على المؤمنين؟؟ هدمتَ ديني، وذهبت بآخرتي، وأفسدت ما كان من صالح عملي. قال سَّوارُ: فانتهزتُها فُرصةً، وطلبتُ ثواب الله في عظته فقلت: يا أمير المؤمنين، إنك جديرٌ بالبُكاءِ، حقيقٌ بطُول الحُزن ما أقمت في الدنيا. وقد استرعاك اللهُ أمر المسلمين، واستحفظك أموالهم، يسألك عما عملت فيما أسترعاك في اليوم الذي أعلمت في كتابه، فقال:{ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ} [الزلزلة: ٦ - ٨]. فازداد بُكاءً، وقال:{ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ} [مريم: ٢٣]. ثم قال يا سوَّارُ إني أُعالج نفسي، وأُعاتبها منذ وليتُ أمور

(1) نثر الدر،5 /102.

المسلمين على حمل الدِّرّة على عُنقي، والمشي في الأسواق على قدمي، وأن أسدَّ بالجريش من الطعام جوْعتي، وأوارىَ بأَخشن الثِّياب عورتي، وأضعَ قدر من أراد الدُّنيا، وأرفع قدْر من أراد الآخرة، وسعى لها، فلم تُطْعني، وعصتْني، ونفرتْ نُفوراً شديداً.

قال سوّار: لا تجتّشمها يا أمير المؤمنين صعاب الأُمور، ولا تُحمّلها ما لا تُطيق، وألزمها أربع خصال تسلمْ لك دنياك وأخرتُك: أقم الحدود واحكُم بالعدل، واجْبِ الأموال من وُجوهها، واقسمها على أهلها بالحقّ [1].

## فاستحسن كلامه:

علم المنصور ابنه صالحاً خطبة فقام بها في الناس في مجلسه فلم يشيع كلامه أحد خوفاً من المهدي، فبدأ شبة بن عقال المجاشعي من الصف فقال: والله ما رأيتك اليوم خطيباً أبل ريقاً ولا أنبض عروقاً ولا أثبت جناباً ولا أعذب لساناً، وقليل ذلك لمن كان أمير المؤمنين أباه والمهدي أخاه، هو كما قال الشاعر:

**هو الجواد فإن يلحق بشاوهما : على تكاليفه فمثله لحقا**
**أو يسبقاه على ما كان من مهل :: فمثل ما قدما من صالح سبقا**

فاستحسن كلامه وعلقه المنصور بيده [2].

## صوت صفير البلبل:

قيل: إنه كان يحفظ الشعر من مرة، وله مملوك يحفظه من مرتين، وكان له جارية تحفظه من ثلاث مرات، وكان بخيلاً جداً حتى إنه كان يلقب بالدوانيقي لأنه كان يحاسب على الدوانيق، فكان إذا جاء شاعر بقصيدة قال له: إن كانت مطوقة بأن يكون أحد يحفظها أو احد أنشأها: أي بأن كان أتى بها أحد قبلك، فلا نعطيك لها جائزة، وإن لم يكن أحد يحفظها نعطيك زنة ما هي مكتوبة فيه، فيقرأ الشاعر القصيدة فيحفظها الخليفة من أول مرة، ولو كانت ألف بيت، ويقول للشاعر اسمعها مني وينشدها

(1) نثر الدر،20/6.
(2) نثر الدر،5 /103.

بكمالها، ثم يقول لـه: هذا المملوك يحفظها، وقد سمعها المملوك مرتين، مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيقرؤها، ثم يقول الخليفة: وهذه الجارية التي خلف الستارة تحفظها أيضاً وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات فتقرؤها بحروفها فيذهب الشاعر بغير شيء.

قال الراوي: وكان الأصمعي من جلسائه وندمائه فنظم أبياتاً صعبة وكتبها على قطعة عمود من رخام ولفها في عباءة وجعلها على ظهر بعير وغير حليته في صفة أعرابي غريب وضرب له لثاماً ولم يبين منه غير عينيه، وجاء إلى الخليفة وقال: إني امتدحت أمير المؤمنين بقصيدة. فقال: يا أخا العرب إن كانت لغيرك لا نعطيك عليها جائزة وإلا نعطيك زنة ما هي مكتوبة عليه. فأنشد الأصمعي هذه القصيدة:

صـــوت صـــفير البلبـــل :: هـــيج قلبـــي الثمـــل
المـــاء والزهـــر معـــا : مـــع زهـــر لحـــظ المقـــل
وأنـــت يـــا ســـيد لـــي :: وســـيدي ومـــوللي
وكـــم وكـــم تيمنـــي غزيـــل : عقيقـــي قطفـــت مـــن وجنتـــه
بـــاللثم ورد الخجـــل وقلـــت :: بـس بسبسـني فلـم يجـد بالقبـل
وقـــال لا لا للـــلا وقـــد غـــدا : مهرولـي والخـود مالـت طربـا
مـن فعـل هـذا الرجـل وولولـت :: ولولـةً ولـي ولـي يـا ويللـي
فقلـــت لا تولـــولي وبينـــي : اللؤلـؤلي لمـا رأتـه أشـمطا
يريد غير القبل وبعده مـا يكتفي :: إلا بطيـــب الوصـــللي
قالـت لـه حين كـذا انهـض وجـد : بـالنقلي وفتيـةٍ سـقونني
قهيـــوة كالعســـللي شـــممتها :: فـي أنفـي أزكـى مـن القرنفـل
فـي وسـط بسـتان حلـي بـالزهر : والسروللي والعود دندن دنلي
والطبـل طبطبطبلـي والـرقص :: قد طبطلي والسقف قد سقسقلي
شـووا شـووا وشاهشـوا علـى : سفرجلي وغرد القمري يصيح
ورق :: راكبـاً علـى حمـار أهزلـي
مـن ملـل فـي مللـي فلـو تراني : والنـــاس ترجمجملـــي
يمشـي علـى ثلاثـة كمشـية :: كعكـع خلفـي ومـن حـوللي
العرنجـــــــــــل : العقنقلـي إلـى لقـاء ملـك
في السوق بالقلقلي والكل كعكع :: حمـــراء كالدمـــدملي
لكـن مشـيت هاربـاً مـن خشـية : أنـا الأديـب الألمعـي
معظـم مبجلـي أمـر لـي بخلعـة :: قطعـاً زخرفـت تعجـز الادبللـي
أجـر فيهـا ماشـياً مبغـدداً للـذيل : صـوت صـفير البلبـل
مـن حـي أرض الموصـل نظمـت ::

**اَقـــــول فـــــي مطلعهـــــا :**

قال الراوي: فلم يحفظها الملك لصعوبتها، ونظر إلى المملوك وإلى الجارية فلم يحفظها أحد منهما فقال: يا أخا العرب هات الذي هي مكتوبة فيه نعطك زنته.

فقال: يا مولاي إني لم أجد ورقاً أكتب فيه وكان عندي قطعة عمود رخام من عهد أبي، وهي ملقاةٌ ليس لي بها حاجة، فنقشتها فيها.

فلم يسع الخليفة إلا أنه أعطاه وزنها ذهباً فنفد ما في خزينته من المال، فأخذه وانصرف، فلما ولى قال الخليفة: يغلب على ظني أن هذا الأصمعي، فأحضره وكشف عن وجهه. فإذا هو الأصمعي فتعجب منه ومن صنيعه وأجازه على عادته، قال: يا أمير المؤمنين، إن الشعراء فقراء وأصحاب عيال وأنت تمنعهم العطاء بشدة حفظك وحفظ هذا المملوك وهذه الجارية. فإذا أعطيتهم ما تيسر ليستعينوا به على عيالهم لم يضرك، انتهى[1].

## أي نهاية لم يبلغها في الفساد والهلاك؟!:

كان مطيع بن إياس الكناني يخدم جعفر بن أبي جعفر المنصور وينادمه، فكره ذلك أبو جعفر لما شهر به مطيع في الناس، وخشي أن يفسده، فدعا بمطيع وقال له، قد عزمت على أن تفسد ابني علي وتعلمه زندقتك؟! قال: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من أن تظن بي هذا فأهلك، والله ما يسمع مني إلا ما إذا وعاه جمله وزينه ونبله. قال: ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلا ما يضره ويعره. فلما رأى مطيع لجاجة في أمره قال له: أتؤمنني من غضبك حتى أصدقك؟ قال: أنت آمن قال: وأي مستصلح فيه، أو أي نهاية لم يبلغها في الفساد والهلاك؟! قال: ويلك بأي شيء؟ قال: يزعم أنه يتعشق امرأة من الجن، وهو مجتهد في خطبتها، وقد جمع أصحاب العزائم عليها، وهم يغرونه ويعدونه بها ويمنونه، فوالله ما فيه فضل لغير ذلك من جد ولا هزل، ولا كفر ولا إيمان. فقال له المنصور: ويلك أتدري ما تقول؟ قال: الحق والله أقول، فسل عن ذلك. فقال: له: عد إلى صحبته واجتهد أن تزيله عن هذا الأمر، ولا تعلمه أني علمت بذلك

(1) الإتليدي، إعلام الناس بما وقع للبرامكة، ص 34.

حتى أجتهد في إزالته عنه.

## والله لأنا أشبه بك منك بأبيك:

ودخل المنصور دار جعفر ابنه هذا، وخرج جعفر من دار حرمه، فقال لأبيه: ما حملك على أن دخلت علي بغير إذن؟ فقال له أبو جعفر: لعنك الله، ولعن من أشبهته، قال: والله لأنا أشبه بك منك بأبيك[1].

## لا أقالني الله إن أقلتك:

حدث عقبة بن سلم قال: دعاني أبو جعفر المنصور فسألني عن اسمي ونسبي، فقلت: أنا عقبة بن سلم بن نافع الأزدي، قال: إني لأرى لك هيئة وموضعاً، وإني لأريدك لأمر أنا معني به، قلت: أرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين، قال: فأخف شخصك ائتني يوم كذا وكذا، فأتيته فقال: إن بني عمنا قد أبوا إلا كيداً لملكنا، ولهم شيعة بخراسان بقرية يقال لها كذا وكذا، يكاتبونهم ويرسلون إليهم بألطاف وصدقات، فاخرج بكسى وألطاف حتى تأتيهم متنكراً بكتاب أكتبه عن أهل تلك القرية، ثم تسير ناحيتهم، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم علمت ذلك وكنت على حذر منهم حتى تلقى عبد الله بن حسن متخشعاً، فإن جبهك وهو فاعل فاصبر وعاوده أبداً حتى يأنس بك، فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل إلي. ففعل ذلك حتى أنس عبد الله بناحيته، وقال له عقبة: الجواب، فقال: أما الكتاب فلا أكتب، ولكن أنت كتابي إليهم، فأقرئهم السلام، وأخبرهم أني خارج لوقت كذا وكذا. فشخص عقبة حتى قدم على أبي جعفر وأخبره الخبر. قال صالح صاحب المصلى: إني لواقف على رأس أبي جعفر وهو يتغذى بأوطاس وهو متوجه إلى مكة، ومعه على مائدته عبد الله بن الحسن، وأبو الكرام الجعفري وجماعة من بني العباس، فأقبل على عبد الله بن الحسن فقال: يا أبا محمد، محمد وإبراهيم قد استوحشا من ناحيتي، وإني أحب أن يأنسا بي ويأتياني، فأصلهما وأزوجهما وأخلطهما بنفسي. قال: وعبد الله يطرق طويلاً ويقول: وحقك يا أمير المؤمنين ما لي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم، ولقد خرجا عن يدي؛ فيقول: لا تفعل يا أبا محمد، واكتب إليهما وإلى من يوصل كتابك

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 361/1.

إليهما، قال: فامتنع أبو جعفر من غدائه ذلك اليوم إقبالاً على عبد الله، وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما، وأبو جعفر يكرر عليه: لا تفعل يا أبا محمد، لا تفعل يا أبا محمد. وقال أبو جعفر لعقبة بن مسلم: إذا فرغنا من الطعام فلحظتك، فامثل بين يدي عبد الله، فإنه سيصرف بصره عنك، فدر حتى تغمز ظهره بإبهام رجلك حتى يملأ عينيه منك، ثم حسبك، وإياك أن يراك ما دام يأكل. ففعل عقبة ذلك، فلما رآه عبد الله وثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر وقال: يا أمير المؤمنين أقلني أقالك الله، قال: لا أقالني الله إن أقلتك، ثم أمر بحبسه[1].

## لا ينجيني منه إلا هذا الأعرابي:

حدث ابن أبي الخير العبسي قال: كنا مع أبي جعفر المنصور أيام خرج عليه عمه عبد الله بن علي وهو يحاربه، فخرج علينا أبو الخصيب - وهو إذ ذاك حاجب المنصور - فأدخل جماعةً من أصحابه وأنا فيهم، وفينا ابن عطية الثعلبي، وكان معروفاً بالشجاعة، فتقدم إلى المنصور، فقال له: يا ابن عطية، قد عرفت بلاء أمير المؤمنين عندك وإحسانه إليك. ثم جفاك أمير المؤمنين جفوةً، وأراد أن يعرض عن تلك الجفوة ويستقبل بك الكرامة، فسر في هذا الوجه، فرأي أمير المؤمنين فيك جميل، وادع من أطاعك من قومك، وخذل عن الفاسق من قبل منك، وليأت أمير المؤمنين عنك غناء يأتك منه جزاء. فقال ابن عطية في نفسه: هذا يوم شرفي وهذه مرتبتي، وقد عرفت أنه لا يستغني عن مثلي، فقال: حوائجي يا أمير المؤمنين، قال: هات حوائجك؛ قال: تبلغ بعطائي الشرف، قال: اكتب يا سليمان، يعني أبا أيوب المرياني، فكتب؛ قال: ويفرض لولدي في شرف العطاء، قال: وماذا؟ قال: ويقضى ديني، قال: وماذا؟ قال: وقطيعة عيالي، قال: نعم، فلما ولى قال: يا سليمان أنفذ لهذا الأعرابي جميع ما سأل، ولا يكون ممن يستعان به في هذا الوجه، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو أن عبد الله بن علي قائم على رأسي بالسيف لا ينجيني منه إلا هذا الأعرابي،

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 12/3.

ما استعنت به بعد هذا التسحب في حوائجه[1].

## كيف اتصل نوبخت المنجم بأبي جعفر المنصور:

قال أبو سهل بن علي بن نوبخت: كان جدنا نوبخت على دين المجوسية، وكان في علم النجوم نهاية، وكان محبوساً في سجن الأهواز.

قال: رأيت أبا جعفر المنصور قد دخل السجن، فرأيت من هيبته، وجلالته، وسيماه، وحسن وجهه، وشأنه، ما لم أره لأحد قط، فصرت من موضعي إليه، فقلت: يا سيدي، ليس وجهك من وجوه أهل هذه البلاد.

فقال: أجل يا مجوسي.

قلت: من أي بلاد أنت؟ قال: من المدينة.

قلت: أي مدينة؟ قال: مدينة الرسول صلوات الله عليه وسلامه.

فقلت: وحق الشمس والقمر، من أولاد صاحب المدينة؟ قال: لا، ولكن من عرب المدينة. فلم أزل أتقرب إليه وأحدثه، حتى سألته عن كنيته. فقال: أبو جعفر.

فقلت: أبشر، وجدتك في الأحكام النجومية، تملكني، وجميع ما في هذا البلد، حتى تملك فارس، وخراسان، والجبال.

فقال لي: وما يدريك يا مجوسي؟ قلت: هو كما أقول، واذكر لي هذا.

قال: إن قضى الله، فسوف يكون.

قلت: قد قضى الله من السماء، فطب نفساً.

وطلبت دواة، فوجدتها، فقلت: اكتب، فكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم. إذا فتح الله على المسلمين، وكفاهم معرة الظالمين، ورد الحق إلى أهله، فلا نغفلك.

فقلت: اكتب لي في خدمتك خطاً، وأماناً. فكتب لي.

قال نوبخت: ولما ولي الخلافة، صرت إليه، فأخرجت الكتاب، فقال: أنا له ذاكر مع الأمان، والحمد لله الذي صدق وعده، ورد الحق إلى أهله.

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 162/3.

قال: فأسلم نوبخت، وكان منجماً لأبي جعفر، ومولى له. [1]

من كلامه:

- الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه.

- أعظم الناس مؤونة أكثرهم مروءة.

- ورفع إليه رجل قصة في شكاية بعض عماله فوقع على ظهرها. اكفني أمره وإلا كفيته أمرك.

- ووقع إلى آخر. قد كثر شاكوك وقل حامدوك. فإما عدلت وإما عزلت[2].

- وقَّع أبو جعفر المنصور في شكوى قوم من عاملهم:كما تكونوا يؤمَّر عليكم [3].

- ليس بإنسان من أسدي إليه معروف فنسيه دون الموت.[4]

خطب أبى جعفر المنصور :

**- خطبته بمكة:**

خطب أبو جعفر المنصور بمكة فقال: أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده وحارسه على ماله أعمل فيه بمشيئته وإرادته وأعطيه بإذنه فقد جعلني الله عليه قفلا إن شاء أن يفتحنى فتحنى لإعطائكم وقسم أرزاقكم فإن شاء أن يقفلنى عليها أقفلنى فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به إذ يقول{ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ} [المائدة: ٣]، أن يوفقنى للرشاد والصواب وأن يلهمنى الرأفة بكم والإحسان إليكم أقول

(1) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، 369/1 ، 370.
(2) أبو منصور عبد الملك عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، دار الغصون - بيروت / لبنان - 1405هـ - 1985م الطبعة: الثالثة، ص 78.
(3) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغةُ الواضِحَةُ، ص 272.
(4) ابن الحداد، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، ص26.

قولى هذا وأستغفر الله لي ولكم.

**ـ خطبته بمكة بعد بناء بغداد**

وحج بعد بناء بغداد فقام خطيبًا بمكة فكان مما حفظ من كلامه{ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ} [الأنبياء: ١٠٥]، أمر مبرم وقول عدل وقضاء فصل والحمد لله الذى أفلج حجته وبعدًا للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضا والفيء إرثاً وجعلوا القرآن عضين لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون فكم ترى من بئر معطلة وقصر مشيد أمهلهم الله حتى بدلوا السنة واضطهدوا العترة وعندوا واعتدوا واستكبروا وخاب كل جبار عنيد ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا؟

**خطبته بمدينة السلام:**

وخطب بمدينة السلام بغداد فقال: يا عباد الله لا تظالموا فإنها مظلمة يوم القيامة والله لولا يد خاطئة وظلم ظالم لمشيت بين أظهركم في أسواقكم ولو علمت مكان من هو أحق بهذا الأمر منى لأتيته حتى أدفعه إليه.

**ـ خطبته وقد أخذ عبد الله بن حسن وأهل بيته :**

ولما أخذ عبد الله بن حسن وإخوته والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي ثم قال:

يا أهل خراسان أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دولتنا ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا وإن أهل بيتى هؤلاء من ولد على بن أبي طالب تركناهم والله الذي لا إله إلا هو والخلافة فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير فقام فيها على بن أبى طالب فتلطخ وحكم عليه الحكمين فافترقت عنه الأمة واختلفت عليه الكلمة ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه وبطانته وثقاته فقتلوه ثم قام من بعده الحسن بن على فوالله ما كان فيها برجل قد عرضت عليه الأموال فقبلها فدس إليه معاوية إني أجعلك ولى عهدى من بعدى فخدعه فانسلخ له مما كان فيه وسلمه إليه فأقبل على النساء يتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غداً فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه ثم قام من بعده الحسين بن على فخدعه أهل العراق وأهل

الكوفة أهل الشقاق والنفاق والإغراق في الفتن أهل هذه المدرة السوداء وأشار إلى الكوفة فوالله ما هي بحرب فأحاربها ولا سلم فأسالمها فرق الله بيني وبينها فخذلوه وأسلموه حتى قتل ثم قام من بعده زيد بن علي فخدعه أهل الكوفة وغروه فلما أخرجوه وأظهروه أسلموه وقد كان أتى محمد بن على فناشده في الخروج وسأله ألا يقبل أقاويل أهل الكوفة وقال له: إنا نجد في بعض علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكوفة وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب وناشده عمي داود بن علي وحذره غدر أهل الكوفة فلم يقبل وتم على خروجه فقتل وصلب بالكناسة ثم وثب علينا بنو أمية فأماتوا شرفنا وأذهبوا عزنا والله ما كانت لهم عندنا ترة يطلبونها وما كان ذلك كله إلا فيهم وبسبب خروجهم عليهم فنفونا من البلاد فصرنا مرة بالطائف ومرة بالشام ومرة بالشراة حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصاراً فأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان ودمغ بحقكم أهل الباطل وأظهر حقنا وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا فقر الحق مقره وأظهر مناره وأعز أنصاره وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله فيها وحكمه العادل لنا وثبوا علينا ظلماً وحسداً منهم لنا وبغياً لما فضلنا الله به عليهم وأكرمنا به من خلافته وميراث نبيه

**جهلا علينا وجبنا عن عدوهم ⁝ لبئست الخلتان الجهل والجبن**

فإني والله يا أهل خراسان ما أتيت من هذا الأمر ما أتيت بجهالة بلغني عنهم بعض السقم والتعرم وقد دسست لهم رجالا فقلت: قم يا فلان قم يا فلان فخذ معك من المال كذا وحذوت لهم مثالا يعملون عليه فخرجوا حتى أتوهم بالمدينة فدسوا إليهم تلك الأموال فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب ولا صغير ولا كبير إلا بايعهم بيعة استحللت بها دماءهم وأموالهم وحلت لي عند ذلك بنقضهم بيعتي وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج على فلا يرون أني أتيت ذلك على غير يقين ثم نزل وهو يتلو على درج المنبر هذه الآية {ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں} [سبأ: ٥٤].

**ـ خطبته حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن:**

ولما خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله شن المنصور عليه درعه وتقلد سيفه وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

**:: ما لي أكفكف عن سعد وتشتمني : ولو شتمت بني سعد لقد سكنوا**
**جهلاً علينا وجبنا عن عدوهم :: لبئست الخلتان الجهل والجبن**
**:**

أما والله لقد عجزوا عما قمنا به فما عضدوا الكافي وما شكروا المنعم فإذا حاولوا أشرب رنقا على غصص وأبيت منهم على مضض كلا والله لا أصل ذا رحم حلول قطيعتها ولئن لم يرض بالعفو ليطلبن ما لم يوجد عندى فليبق ذو نفس على نفسه قبل أن تمضى فلا يبكى عليه.

**ـ خطبته وقد قتل أبا مسلم الخراسانى :**

وخطب بالمدائن عند قتل أبى مسلم الخراسانى فقال: أيها الناس، لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسروا غش الأئمة فإنه لم يسر أحد قط منكرة إلا ظهرت في آثار يده وفلتات لسانه وصفحات وجهه وأبداها الله لإمامه بإعزاز دينه وإعلاء حقه إنا لن نبخسكم حقوقكم ولن نبخس الدين حقه عليكم إنه من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبى هذا الغمد، وإن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه ثم نكث بنا فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه.

**ـ خطبة أخرى:**

وخطب فقال: أيها الناس، لا تنفروا أطراف النعمة بقلة الشكر فتحل بكم النقمة ولا تستروا غش الأئمة، فإن أحداً لا يستر منكراً إلا ظهر في فلتات لسانه، وصفحات وجهه وطوالع نظره وإنا لا نجهل حقوقكم ما عرفتم حقنا ولا ننسى الإحسان إليكم ما ذكرتم فضلنا ومن نازعنا هذا القميص أوطأنا أم رأسه خبء هذا الغمد والسلام.

## - قوله وقد قوطع في خطبته:

وخطب يوم الجمعة فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أيها الناس، اتقوا الله، فقام إليه رجل، فقال: أذكرك من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين، فقطع الخطبة ثم قال سمعاً سمعاً لمن فهم عن الله وذكر به، وأعوذ بالله أن أكون جباراً عنيداً، وأن تأخذنى العزة بالإثم، لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين، وأنت أيها القائل فوالله ما أردت بها وجه الله، ولكنك حاولت أن يقال قام فقال فعوقب فصبر وأهون بها ويلك لو هممت فاهتبلها إذ غفرت وإياك وأياكم معشر الناس أختها، فإن الحكمة علينا نزلت ومن عندنا فصلت فردوا الأمر إلى أهله توردوه موارده وتصدروه مصادره ثم عاد في خطبته فكأنه يقرؤها من كفه فقال: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

## وصايا المنصور لابنه المهدى:

- وصية له:

قال المنصور لابنه المهدى: يا بنى، لا تبرم أمراً حتى تفكر فيه، فإن فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيئاته واعلم أن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة والرعية لا يصلحها إلا العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه.

- وصية أخرى له:

ووصاه فقال له إنى لم أدع شيئاً إلا قد تقدمت إليك فيه وسأوصيك بخصال والله ما أظنك تفعل واحدة منها، وكان له سفط فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحداً يصر، مفتاحه في كم قميصه، فقال للمهدى: انظر هذا السفط فاحتفظ به، فإن فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة فإن أحزنك أمر فانظر في الدفتر الأكبر، فإن أصبت فيه ما تريد وإلا فالثانى، والثالث حتى بلغ سبعة، فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فإنك واجد فيها ما تريد، وما أظنك تفعل وانظر هذه المدينة، فإياك أن تستبدل بها فإنها بيتك وعزك قد جمعت لك فيها من

الأموال ما إن كسر عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور فاحتفظ بها، فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل بيتك أن تظهر كرامتهم وتقدمهم وتكثر الإحسان إليهم وتعظم أمرهم وتوطئ الناس أعقابهم وتوليهم المنابر فإن عزك عزهم وذكرهم لك وما أظنك تفعل وانظر مواليك فأحسن إليهم وقربهم واستكثر منهم فإنهم مادتك لشدة إن نزلت بك وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل خراسان خيراً فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في دولتك ودماءهم دونك ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم أن تحسن إليهم، وتتجاوز عن مسيئهم، وتكافئهم على ما كان منهم وتخلف من مات منهم في أهله وولده وما أظنك تفعل وإياك أن تبني مدينة الشرقية فإنك لا تتم بناءها وما أظنك تفعل وإياك أن تستعين برجل من بنى سليم وأظنك ستفعل وإياك أن تدخل النساء في مشورتك في أمرك وأظنك ستفعل.

- وصية أخرى له:

ووصى المهدى أيضا فقال: اتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدى يجعل لك فيما كربك وحزنك مخرجاً، ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب احفظ يا بنى محمداً في أمته يحفظ الله عليك أمورك، وإياك والدم الحرام فإنه حوب عند الله عظيم، وعار في الدنيا لازم مقيم، والزم الحلال فإن فيه ثوابك في الأجل، وصلاحك في العاجل، وأقم الحدود ولا تعتد فيها فتبور، فإن الله لو علم أن شيئاً أصلح لدينه وأزجر عن معاصيه من الحدود لأمر به في كتابه، واعلم أنه من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب، والعقاب على من سعى في الأرض فساداً مع ما ذخر له عنده من العذاب العظيم فقال:{ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ} [المائـــدة: ٣٣]، فالسلطان يا بنى حبل الله المتين، وعروته الوثقى، ودين الله القيم فاحفظه وحطه وحصنه وذب عنه، وأوقع بالملحدين فيه، واقمع المارقين منه

واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمثلات بهم، ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن، واحكم بالعدل ولا تشطط، فإن ذلك أقطع للشغب وأحسم للعدو وأنجع في الدواء، وعف عن الفيء فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك، وافتتح عملك بصلة الرحم وبر القرابة وإياك والأثرة والتبذير لأموال الرعية، واشحن الثغور، واضبط الأطراف، وأمن السبل، وخص الواسطة، ووسع المعاش، وسكن العامة، وأدخل المرافق عليهم، واصرف المكاره عنهم، وأعد الأموال واخزنها، وإياك والتبذير، فإن النوائب غير مأمونة، والحوادث غير مضمونة وهى من شيم الزمان وأعد الرجال والكراع والجند ما استطعت وإياك وتأخير عمل اليوم إلى غد، فتتدارك عليك الأمور، وتضيع جد في إحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولا فأولا، واجتهد وشمر فيها، وأعدد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار، ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل، وباشر الأمور بنفسك، ولا تضجر، ولا تكسل، ولا تفشل، واستعمل حسن الظن بربك وأسئ الظن بعمالك وكتابك، وخذ نفسك بالتيقظ، وتفقد من يبيت على بابك، وسهل إذنك للناس وانظر في أمر النزاع إليك ووكل بهم عيناً غير نائمة ونفساً غير لاهية ولا تنم، فإن أباك لم ينم منذ ولى الخلافة ولا دخل عينه غمض إلا وقلبه مستيقظ هذه وصيتى إليك والله خليفتى عليك [1].

- وقال أبو جعفر المنصور: الحمد لله الذي أجارني بخلافته، وأنقذني من النار بها[2].

- كان المنصور يقول: الملوك تحمل كل شيء إلا ثلاث خلالٍ: إفشاء السر، والتعرض للحرم، والقدح في الملك.

وقال: إذا مد عدوك يده إليك فاقطعها إن أمكنك، وإلا فقبلها.

وكتب إليه زياد بن عبيد الله يسأله الزيادة في أرزاقه، ويبالغ في

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، 3 /31 - 37.
(2) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري، المحاسن والأضداد، مكتبة الخانجي - القاهرة / مصر - الطبعة: الثانية، 1415هـ - 1994م، 108/1.

الكتاب. فوقع المنصور في كتابه: إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعا في رجلٍ أبطراه، وأمير المؤمنين مشفق عليك، فاكتف بالبلاغة[1].

- وقال أبو جَعْفَر المَنْصُور:

**إذا كنتَ ذا رأيٍ فكُنْ ذا عَزِيمَةٍ ... فإنَّ فَسادَ الرَّأْيِ أنْ تَتَرَدَّدا**
**ولا تُمْهِلِ الأعْداءَ يَوْماً لِقُدْرَةٍ ... وبادِرْهُمُ أنْ يَمْلِكُوا مِثْلَها غَدا** (2)

- قال أبو جعفر المنصور: من أعطى إخوانه النصفة، وعاشرهم بجميل العشرة قوي بهم عضده، وزاد بهم جلده، وبذلوا دونه المهج، وخاضوا في رضاه اللجج[3].

**- حب الصديق إذا كانت مودته ... في الله فرض على العلامة الفطن**
**ما إن يكون كعمرو صاحب أبداً ... في كل أمر أخي رشد ولم يكن**

مل - قال أبو جعفر المنصور: الذي عليّ للرعية أن أحفظ سبلهم،فينصرفون آمنين في سبيلهم ولا يصدّون عن حجهم، وقضاء نسكهم، وأن أضبط ثغورهم، وأحصّنها من عدوهم وأن أختار قضاتهم، وأعزل بالحق كيلا يصل ظلم بعضهم إلى بعض، وأن أرفع أقدار فقهائهم وعلمائهم، وأكف جهالهم عن حكمائهم[4].

**الفؤاد من الآداب وذو فكر ... تنبيك آثاره عن فعله الحسن**
**إذا تنعتع قوم في حديثهم ... أجدى الحديث لهم من مقول لسن** (5)

- قال أبو جعفر المنصور: الذي عليّ للرعية أن أحفظ

(1) نثر الدر،3 /60.
(2) أبو الحسن البصري، الحماسة البصرية، 134/1.
(3) أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق، 6/1.
(4) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 72/1.
(5) الزمخشري، ربيع الأبرار، 72/1.

سبلهم،فينصرفون آمنين في سبيلهم ولا يصدّون عن حجهم، وقضاء نسكهم، وأن أضبط ثغورهم، وأحصّنها من عدوهم وأن أختار قضاتهم، وأعزل بالحق كيلا يصل ظلم بعضهم إلى بعض، وأن أرفع أقدار فقهائهم وعلمائهم، وأكف جهالهم عن حكمائهم[1].

* * *

(1) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 72/1.